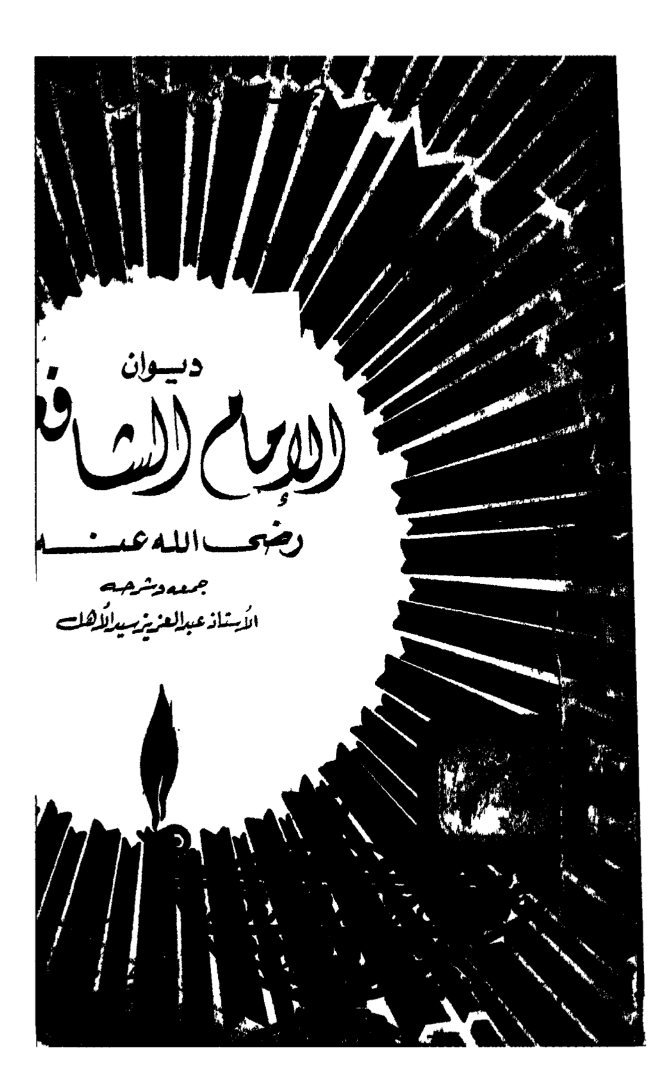
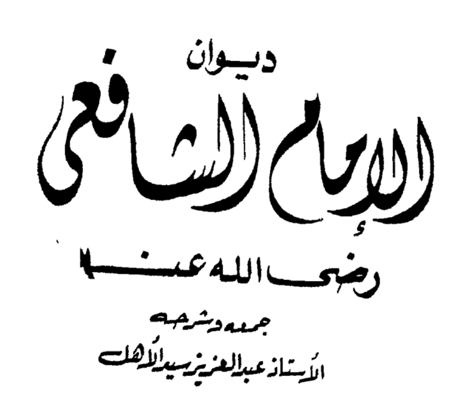

ديوان
الإمام الشافعي
رضي الله عنه
جمعه وشرحه
الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بالقاهرة





الكتاب الثامن والعشرون

(١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م)

يشرف على إصداره
محمد توفيق عويضة

شعر الإمام الشافعي

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين ..

وبعـــد

فلم نفت رجال الدين والصلحاء من الأمة وأهل التصـــوف أن يؤدوا معانيهم فى نظام من السعر جاء فى كثير منه جيدا بليغا مؤثرا عميق المعانى .

وكاد لم يكن هناك امام من أئمة الدين الاله شعر يقوله أو يتمثل به ، ومن هؤلاء الامام محمد بن ادريس السافعى رضى الله عنه ، الذى بدأنا باب الشعر الدينى على مجلة منبر الاسلام به منذ عامين ثم قـــدر لنا أن نعرض ــ كما شاء الله ــ كل ما عثرنا عليه من شعر منسوب اليه ، ثم شرحناه شرحا مختصرا موجزا ، مرتب الأبواب على حروف الهجاء . ونحن نعود هنا لنذكره كله ومعه غيره فى هذا الديوان وبالله التوفيق .

الامام الشافعى :

ومحمد بن ادريس الشافعى الامام لم يكن فقيها وحسب ، بل جمع الى علومه فى الدين علوما أخرى كثيرة : جمع القرآن والحديث وكان أستاذ القياس والاجماع وانكار البدع ، وجمع الطب والنجوم والفراسة ولا سيما فراسة الناس والابل ، والانساب ولا سيما أنســاب قريش وبنى هاشم ، وأخبار السلف والمغازى وعجائب الدنيا .

ثم جمع الشافعى اللغة حتى قال عبد الله بن هشام صاحب المغازى : الشافعى ممن تؤخذ عنه اللغة . وكان سخى اليــد شجاعا كامل المروءة ذا فصاحة وابانة .

وقد اعترف له أحمد بن حنبل بالبيان والمعرفة . ثم كان الشافعى الى ذلك يجيد القراءة والالقاء حتى أعجب به الامام مالك فجعله يقرأ عليه ما شاء ويعيد ، وذلك منذ كان تلميذا لمالك .

شعر الامام :

ومن الفنون التى أجادها الشافعى الرمى وتسديده ، ولقد قال هو عن نفسه انه يصيب من العشرة عشرة ــ أى أنه لا يخطىء الهدف مطلقا ــ . كما كان له مجال عريض فى الشعر الذى نحن بسبيله الآن فى هذا الديوان .

ولم يتم لشعر الشافعى من قبل أن يجتمع فى ديوان الا ما تاح لنا أن نراه حديثا فى مجموعة الأستاذ الكبير زهدى يكن قاضى بيروت ، وانما قد انتشر فى كتب كثيرة تعرض منه فى بعض فصولها وأبوابها ما يتأتى لها أن تعرضه ، وأخص منها بعض كتب التفسير والفقه والتصوف والأدب والتاريخ فقد أخذ كل منها ما شاكله ووافقه . وقد لا تجد فى كتاب ضخم منها سوى قليل من شعره فى مقطعات ، أو قليل من الأبيات ، مع جــودة هذا الشعر وروعته واستحقاقه لأن يجمع وأن يروى ويشتهر أكثر مما روى واشتهر .

صلة الشافعي بالشعر :

وصلة الشافعي بالشعر بدأت قوية في بدء حياته وما زال يتعالى فيه — حتى بعد أن انصرف الى فقهه — وصار في مكنته أن يرتجل في المعنى الذي يريده بيتا أو بيتين أو مقطعة يعجز غيره من الشعراء أن يأتوا بأمثالها .

وقد جمع الشافعي في أول دراساته شعر الهذليين واختص به ، وشعرهم كان جاهليا واسلاميا فصيحا تناولوا به الحماسة والفضائل أوسع تناول . ولعل الشافعي أعجب بشعر هؤلاء لنشأته في قبائلهم ورضاه عن طباعهم ولأن هذيلا — كما يقول الشافعي نفسه — : كانت أفصح العرب .

وروى الشافعي شعر الشنفرى ، وكان كثيرا ما يتمثل بأشعار لطفيل الغنوي كما أورد ابن أبي حاتم في كتابه « آداب الشافعي ومناقبه » .

ويقول الشافعي في حديثه عن مبدأ أمره :

« ثم اني خرجت عن مكة فلزمت هذيلا في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها ، وكانت من أفصح العرب ، قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة ، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلما رجعت الى مكة أخذت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب » .

وحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله بن الزبير أنه خرج الى اليمن فلقي محمد بن ادريس الشافعي وهو مستحض في طلب الشعر والنحو والحديث .

وقد تأول بعضهم اليمن هذه التي رحل اليها الشافعي بأرض أهلها وسكانها قبائل اليمن لا بلاد اليمن ذاتها .

وقد كانت بلاد غزة — التي ولد بها الشافعي — وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها .

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ : كان الشافعي أحذق قريش بالرمي ، كان يصيب من العشرة عشرة ، وكان أولا قد برع في ذلك وفي الشعر واللغة وأيام العرب .. ولقد اطلع الشافعي على علم الخليل بن أحمد وأقواله في العروض واللغة فتمنى أن يراه .

الشافعي والرواة :

واتصل الأصمعي بالشافعي يأخذ عنه شعر الشنفرى وشعر هذيل ويتعلم منه روايته وشرحه وفصيحه وغريبه ، روى أبو عثمـــان المازني قال : سمعت الأصمعي يقول : قرأت شعر الشنفرى على الشافعي بمكة .

وحكى الحسين بن أحمد البيهقي الفقيه ببغداد قال : سمعت حسان بن محمد يحكي عن الأصمعي أنه قال : صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن ادريس الشافعي ، قال : وحكى لنا عن مصعب الزبيري قال : كان أبي والشافعي يتناشدان ، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظا .

ويقول الدكتور عبد الجبار الجومرد في كتابه (الأصمعي) عن المزهر للسيوطي : ودرس ديوان الشـــاعر الجاهلي الشنفرى وشعر بني هذيل في مكة على الامام محمد بن ادريس صاحب المذهب الشافعي . ثم قال : والظاهر انه درس ذلك في أواخر أيامه وهو مسن ، في حين كان أستاذه الشافعي أصغر منه سنا .

منزلته الشعرية :

حدث الصولي عن المبرد أنه قال : كان الشافعي من أشعر الناس وآدب الناس . وقال ابن رشيق : أما محمـــد بن ادريس الشافعي فكان من أحسن الناس افتنانا في الشعر .

وقال ابن النديم في الفهرست : كان الشافعي يقول الشعر .

والحق ان ما قاله هؤلاء حق ، ولا يطعن في ذلك مـــا أورده للشافعي منظوما في بعض مسائل الفقه اذ كان ينظمه ارتجالا ، وسنشير الى بعض ذلك في أثناء عرضه ــ ان شاء الله ــ ولم يقع منه هذا الا لأن هذه المسائل معروفة المعاني فلا تحتاج الى ابتكار أو كد وتأمل كما تحتاج الأفكار المطلقة والمعاني الغائبة البعيدة ، فكل ما في النوع المنظوم من شعره انما هو جهـــد لفظي أما ما عدا هـــذه المسائل فللشافعي فيـــه شعر رائق وكلام بليغ بديع .

والشافعي في لغته كلها معجب فاتن ، قال ابن هشام ، جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة الا اعتبرها المعتبر : لا يجد كلمة في العربية أحسن منها . وقال ابن هشام : الشافعي كلامه لغة يحتج بها ، وقال : كانت لغته فتنة . وحدث عنه قال : كان قوم من أهـل العربية يختلفون الى مجلس الشافعي معنا ويجلسـون ناحية . قال ، فقلت لرجل من رؤسـائهم : انكم لا تتعاطون العـلم (أى الفقه) فلم تختلفون معنا ؟ فالوا : نسـمع لغة الشـافعي !

ميزة شعره :

ومع علو لغة الشافعي في كل أقواله فان شعره سهل ممتنع ، ولعلك اذا قست قطعة من نثره بمقطعة من شعره بدا لك الفرق بين اللغتين ، فانه في النثر يختار أجزل الألفاظ ، ويميل الى الغريب الصعب ، وذلك كقوله :

« للمشي على الحفاء ، على علة الوجاء في حر الرمضاء من ذي طوى — بفتح الطاء — أهون من اعتذار الى صديق يشوبه الكذب » .

أما ألفاظه في الشعر فلن تعثر فيها على غريب ولا صعب بل ستجده كله مريئا ، ولكن لن تضع من معانيه هذه السـهولة ولا سلوكه سبيل الخير . وان القاعدة التي قالها النقاد قديما .. « اذا سلك الشعر سبيل الخير لان » والتي قال لي فيها الأستاذ الباقوري : ان سبب هذا اللين أن الاسلام جمع الناس وأفكارهم في حدود من تخطاها أخطأ ومن خرج عليها ضـل ، لذلك ضاقت مذاهب الفوضى على الشعراء وسبق لبيد الى الفضل فتقيد وأمسك . هذه القاعدة يختل ميزانها أمام شعر الشافعي ، اذ بقي له — على سلوكه كل سبيل للخير — الرونق والبهجة والروعة والتأثير ، وتلك الميزات التي يتصف بها شعر السابقين الجياد .

والشافعي يلتقي في معظم شعره مع الصوفيين ومعانيهم ؛ ولولا زهوه بشعره حينا ، وضيق نفسه بالفقر حينا ، حتى تكاد تتعارض معانيه مع طرق الصوفية وأهل القناعة — لولا ذلك لعددت شعره كله صوفيا .

ثم ان شعره كله جاء مقطعات ، فلم ينظم قصائد طوالا ، ولذا سهل الاقتباس منه والاستدلال به فأخذ كل ما يوافقه ويشتهيه .

ويبدو أن ميله الى المقطعات كان صادرا عن طبعه الذى اختار الايجاز فى كل ما يكتب حتى قال فيه يونس بن حبيب : كان لسانه أكبر من كتبه .

ولما كان الشافعى قد قصد فى شعره الى السهولة والوضوح وسلك فى أكثره سبيل الارتجال فانه لم يقل فى كل القوافى ، بل غادر القوافى الصعبة فلم يسلكها ، واكتفى بالقول فى الحروف الجيدة التى لا تقف امام العذوبة والرقة والسرعة والارتجال .

منبع صوفى :

وقد انصبت عليه الفقهاء وأهل التصوف يجدون فيه مطلبهم وراحتهم ، وكان من أكثر من عنى به فى كتبه ومختصراته الامام التقى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فقد روى عنه جملة نافعة كانت صالحة لنمو الفكرة فى تتبع شعره فجزاه الله خيرا كثيرا .

مواطن القول :

ولقد كانت مصر أهم موطن لشعر الشافعى بعد قدومه اليها واتصاله بطباعها واختلاطه بمجتمعاتها ، وظل يقول بها المقطعات وينثرها فى مختلف أحواله حتى مرضه الذى مات فيه ، ولم تكن المدة التى قضاها بمصر أكثر من أربع سنين .

فلما توفى ـ رحمه الله ـ كان للشعر بكاء عليه طويل ، وكان أعظم من رثاه من الشعراء ابن دريد الأزدى فى قصيدته العينية التى أوردها الخطيب البغدادى فى ترجمة الشافعى وطاهر بن عبد الله الطبرى الذى وصف بلاغة الشافعى فى الترجمة ذاتها .

ولم يشأ الشعر أن يفارق قبره الذى دفن فيه ، فكتب الشعراء على أحجاره ، ثم التقى أهل الفن بأهل الشعر فى قبته التى بنيت عليه فى العصر

الأيوبى فرمزوا اليه فوقها برمز شعرى بديع ، وذلك انهم جعلوا فوق قمتها زورقا يشير الى معنى جليل .

ثم تسابق الشعراء فى التعبير عن هذا الرمز فكثرت فيه الأقوال ، وكان الامام البوصيرى الشاعر المشهور أحد القائلين فيه وقد اجتمعت معانيهم على ان الزورق أو السفينة — كما قالوا — تشير الى بحر من تحتها ، وقد رأيت تقريب هذا المعنى وتسهيله فقلت :

علـى قبـــة الشـــافعى زورق	يشـــير الى ذات معـــنى خطـــير
بشـــير الى البحـــــر من تحتــه	يمـــوج بفضـــل وعـــلم غـــزير

قوافى الشافعى :

هذا وانى ابتدىء بما قاله الشافعى فى روى الهمزة وأختم بما قاله فى روى الياء . وقد جعلت لكل مقطعة من شـعره عنوانا يناسبها ، ثم ذكـرت المصدر الذى أخذت عنه ، وشرحتها شرحا موجزا . أرجو أن يكون له قدر من التوفيق والقبول . والله المستعان .

عبد العزيز سيد الأهل
عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قافيـــة الهمزة

عن المخزون فى تسلية المحزون وهو لمؤلف قديم لم يذكر اسمه وذكر الكتاب صاحب كشف الظنون .

قال الشافعى رضى الله عنه :

لا سرور يعدل صحبة الاخوان ، ولا غم يعدل فراقهم . والغريب من فقد الفه ، لا من فقد منزله .

واحســــــرة للفتى ســــــاعة يعيشــــها بعــــــد أودائــــه
عمـــــر الفتى لو كـــان فى كفه رمى بـــه بعـــد أحبـــــائه

يقول الشافعى ان الساعة التى يعيشها المرء بعد أهل وده وأصحابه تشق عليه وتصيبه بالحسرات . ويقول : ان الفتى الحر لو كان يملك عمره ويصرفه كما يشاء رمى به وافتقده بعد افتقاد أحبائه . وهذا من الشافعى مبالغة تدل على صدق صحبته وحسن وفائه .

هذا . ولم نعثر له فى حرف الهمزة على غير هذه المقطعة .

قـافيـة البـاء

نذير الشيب

عن مختصر تذكرة القرطبي للشعراني وايقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة الحسنى :

ولما طلع الشيب فى رأس الامام الشافعي — رضى الله عنه — أنشد :

خبت نار نفسي باشتعال مفارقي ... وأظلم ليلى اذا أضاء شهابها
أيا بومة قد عششت فوق هامتى ... على الرغم منى حين طار غرابها
رأيت خراب العمر منى فزرتنى ... ومأواك من كل الديار خرابها
أأنعم عيشا بعدما حل عارضى ... طلائع شيب ليس يغنى خضابها ؟
وعزة عمر المرء قبل مشيبه ... وقد فنيت نفس تولى شبابها
اذا اصفر لون المرء وابيض شعره ... تنغص من أيامه مستطابها
فدع عنك سوءات الأمور فانها ... حرام على نفس التقى ارتكابها
وأد زكاة الجاه واعلم بأنها ... كمثل زكاة المال تم نصابها
وأحسن الى الأحرار تملك رقابهم ... فخير تجارات الكرام اكتسابها
ولا تمشين فى منكب الأرض فاخرا ... فعما قليل يحتويك ترابها
ومن يذق الدنيا فاني طعمتها ... وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم أرها الا غرورا وباطلا ... كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها
وما هى الا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لأهلها ... وان تجتذبها نازعتك كلابها
فطوبى لنفس أودعت قعر دارها ... مغلقة الأبواب مرخى حجابها

تكاد تكون هذه المقطعة أطول مقطعة قالها الشافعي . وفى أول القصيدة أراد الشافعي بالاشتعال والشهاب بياض الشيب ثم كنى عن الشيب بالبومة

وعن الشعر الأسود بالغراب . ويقول انه حيثما حل الشيب مكان السواد برغمه سكنت البومة داعية الخراب فى الأعالى .

والمعجب فى قول الشافعى تحسره على طيران الغراب لأنه ليس كالغربان التى تطار وتبعد .

ويرى الشـــافعى فى تمام الجاه زكاة كزكاة المـــال التى وجبت بتمام نصابها ، وزكاة الجاه لا تكون الا بالفراغ للتقى والتعرض للاستشفاع فى حاجات الناس لانصافهم واعانتهم . وقد قيد الشافعى أمر الاحسان بالأحرار لأن الأحرار هم الذين ينفع لديهم المعروف .

وقد شبه الشافعى ظاهر الأرض بالمنكب لأن ظاهر الأرض مرتفع عن ترابها وباطنها كظهور المنكب على الأعضاء . ويريد : من يذق نعيم الدنيـــا وعذابها فانى قد ذقت مثله . ففى البيت ايجاز بالحذف .

وشبه الشافعى نعيم الدنيا بالسراب ، اذ كله يلوح ويخفى ، ويبدو ثم يغيب كأن لم يكن .

وكلمة مستحيلة : أى حائلة متحولة من جسم لم يكن جيفة قبل موته . وقد شبه طلاب الدنيا المتكالبين عليها بالكلاب . وروعة هذا التشبيه لما فيه من حقائق الشهوات ، فان الدنيا اذا تركتها للناس سالموك لأنك كنت كمن سالمهم ، وان مددت يدك للأخذ منها نازعوك كما تنازل الكلاب كلبا مد فمه لجيفة يأكل منها .

ويمدح الشافعى فى مقطعته هذه العزلة الكثيفة فى الدار التى غلقت أبوابها وأرخيت أستارها . ويرى هذه العزلة منجية من المهالك . وهو رأى صـــوفى .

وقد نســـبت أبيات من هـــذه القصيدة لغير الشافعى .

اختلاف القلوب

عن آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى ووفيـــات الأعيان : سمع محمد بن ادريس الشافعى يقول :

ومن البليـــــــة أن تحب (م)	فـــــلا يحبـــك من تحبــــــــه
ويصـــد عنـــك بوجهــــــــه	وتـــــلح أنت فلا تغبـــــــه

وقد رواها ابن خلكان قال :

قال الشافعي — رضى الله عنه — : تزوجت امرأة من قريش بمكة . وكنت أمازحها فأقول :

ومن البليـــــــــــة أن تحب ... فـــلا يحبك من تحبـــــــــه

فتقول هي :

ويصـــد عنـــــك بوجهـــه ... وتـلح أنت فـــلا تغبـــــــه

أي أن للشافعي بيتا وللقرشية بيتا . والكلام واضح . أما كلمة « تغبه » فأصلها « تغب عليه » فهو مضمن فعلا معدى . ومعناه : فلا تأتيه يوما بعد يوم . وهو مأخوذ من حمى الغب التي تأتي يوما وتترك يوما .

حب الرحلة

عن الأئمة الأربعة للأستاذ أحمد الشرباصي قال الشافعي :

سأضرب في طول البلاد وعرضـــها ... أنـــال مرادى أو أمـــوت غريبـــا

فان تلفت نفسى فللــــــه درهـــا ... وان سلمت كان الرجـــوع قريبـــا

في هذه المقطعة ينوى الشافعي السفر ، وهو لا يقول قولا الا فعله ويريد من ذلك أن ينـــال مراده ، ولم يكن مراده الا أن يتعلم أمور الدين ويعلمها ، ولم يكن له هم في جمع المال قط وان لم يكن قد صرح عن مراده في هذه المقطعة فهو معلوم من أمره .

ولا يهم الشافعي أن تسلم نفسه في السفر أو تهلك ، بل انه ليمدحها ان تلفت أكثر مما يمدحها لو سلمت فرجع الى بلده .

منافع الأسـفار

ومن المشهورات المنسوبة للشافعي قوله ،

ســـافر تجد عوضـــا عمن تفـــارقه ... وانصب فان لذيذ العيش في النصب

انى رأيت وقـــوف المـــــاء يفسده ... ان سال طاب وان لم يجـــر لم يطب

والأسد لولا فراق الغاب مافترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والتبر كالترب ملقى في أماكنــــه ... والعود في أرضه نوع من الحطب

يحث الشافعي في هذه الأبيات على السفر والترحل ، ويدفع خوف مفارقة

الأهل بلقاء أهل آخرين فى الغربة ، ولو أن السفر قطعة من العذاب ، وقد يكون فيه هلاك المسافر ، الا أن لذيذ العيش فيه .

ويسوق الشافعى العلة من أمور الطبيعة : فالماء يفسد ويأسن لو وقف ، فاذا جرى عذب ولم يفسد . والأسد والسهام لولا مفارقة الغاب والأقواس لم تصد ولم تفترس فتحصلّ على أقواتها وترمى أغراضها .

كما أن التبر الذى هو ذهب والعود الطيب الرائحة لا قيمة لأحدهما الا اذا ترك مكانه وتحول عنه ، فالتبر لا يزال ترابا حتى يستخرج ، والعود يظل حطبا حتى يحمل للسوق وتستنشقه الأنوف .

وحسن الدليل عند الشافعى أنه جاء به مرتين : مرة فيما ينتقل فيحدث انتقاله أثرا كالماء والأسد والسهام ، ومرة فيما تتغير قيمته لو انتقل كالتبر والعود . وفى الكلام مجانسة غير متكلفة بين التبر والترب . وهذه المقطعة من مشهورات الشافعى .

عبادة الجاهل

عن المجموعة المباركة للقلنقولى — وهو كتاب منتشر فى الصومال بين أتباع الجيلانى .

قال الشافعى رضى الله عنه :

عبادة جاهلين بغير علم ... كقرطاس تراه بلا كتاب

وهو بيت واحد منظوم ومعناه أن لا قيمة للعبادة بلا علم أركانها .. فاذا لم تعلم الأركان كانت باطلة ، كالورقة البيضاء من غير كتابة ، فلا معنى لها الا أنها طينة وعجينة . وهو رأى يتفق فيه أهل الشريعة والمتصوفة .

غنى النفس

عن المستطرف للأبشيهى :

قال الشافعى :

بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم ... سوى من غدا والبخل ملء اهابه

فجردت من غمد القناعة صارما ... قطعت رجائى منهم بذبابه

فلا ذا يــرانى واقفــا فى طريقــه ولا ذا يــرانى قاعــدا عند بــابه
غــــنى بلا مال عن النـــاس كلهم وليس الغنى الا عن الشيء لا بـــه
اذا ظالم يستحســـن الظلم مذهبــا ولج عتــوا فى قبيــح اكتســـابه
فكله الى صرف الليــــــالى فانها ســتبدى له ما لم يكن فى حسابه
فــكم قد رأينــــا ظالما متمــردا يــرى النجم تيهــا تحت ظل ركابه
فعمــا قليــل وهــو فى غفــلاته أناخت صروف الحــادثات ببــابه
فأصــبح لا مــال ولا جاه يرتجى ولا حســـنات تلتقى فى كتـــــابه
وجوزى بالأمــر الــذى كان فاعلا وصب عليــه الله ســـوط عــذابه

يصف الشافعى الناس بشدة البخل وهى طبائع البشر . والمعنى مأخوذ من آيات كثيرة من القرآن .

وقد أراد بذباب السيف طرفه وحده وهو أقطع جزء فيه ، وقد أحسن الشافعى الاستعارات فى هذا البيت الثانى . أما البيت الثالث فالشطر الأول فيه يفيد وقوف السائل بالاعتراض ، والشطر الثانى يفيد بلوغه للسؤال ، وهما حالتان للسائل الملح فى سؤاله .

والبيت الرابع مأخوذ من الحديث الذى يقول : «ليس الغنى عن كثــرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وقد فرع عليه الشافعى تفريعا حسنا فبين أن الغنى يكون عن فقدان الشيء لا بامتلاكه فأخرج اللفظ الى معنى القناعة . وقد علق على هذا الأستاذ الباقورى بفطنتــه وبلاغته حين سمعه فقال : ان الغنى يكون بالامتلاء والايجاب ، ولكن الشافعى جعله سلبا ، وهو غريب .

وأراد الشافعى باللجاج والعتو الاسراف ، وبين أن ذلك يكون اكتسابا قبيحا ، فهو يرشح بذلك لاستحقاقه العذاب . وهو مذهب أهل السنة .

وقد أعاد الشافعى لفظ « بابه » قبل عشرة أبيات هنا ، وليست فى هذه الاعادة عيب « الايطاء » كما يسميه أصحاب العروض ، اذ المقصود ببابه الثانية هو ذاته ونفسه .

صنوف الناس

عن معجم الأدباء لياقوت .

مما يروى للشافعى قوله :

أصبحت مطرحا فى معشر جهلوا	حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب
والناس يجمعهم شمل وبينهم	فى العقل فرق وفى الآداب والحسب
كمثل ما الذهب الابريز يشركه	فى لونه الصفر . والتفضيل للذهب
والعود لو لم تطب منه روائحه	لم يفرق الناس بين العود والحطب

« ما » فى البيت الثالث اما زائدة والذهب مضاف اليه . واما هى مقصور « ماء » . والابريز : الصافى الخالص . والصفر هو النحاس . والكلام واضح .

ميزان المعرفة

عن مكاشفة القلوب وهو مختصر « مكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب » .

قال الشافعى رضى الله عنه :

اذا حار أمرك فى معنيين	ولم تدر حيث الخطا والصواب
فخالف هواك فان الهوى	يقود النفوس الى ما يعاب

يقول الشافعى : اذا اشتبه عليك رأيان فدع أحبهما الى نفسك وخذ أثقلهما عليك ، وذلك لأن النفس تشره الى الخفيف عليها ، وقد يكون فيه بوارها . وهو مأخوذ من قول عمر رضى الله عنه .. « ان الحق ثقيل مرىء وان الباطل خفيف وبىء » وللصوفية فى هذا الباب مجال .

ولكن ليعلم أن الأمرين اللذين يريدهما الشافعى ما كان للهوى فى أحدهما مدخل ، فاذا لم يكن فما على المرء الا أن يمضى فى أيهما شاء .

قافية التاء

قضاة الدهر

عن المجموعة المباركة وخزينة الأسرار للنازلى .

قال الشافعى رضى الله عنه :

قضـــاة الدهـــر قد ضـــلوا فقـــد بانت خســـارتهم
فبـــاعوا الدين بالدنيـــا فمـــا ربحت تجـــارتهم

يريد الشافعى بقضاة الدهر الذين يزاولون الأحكام حبا فى الدنيا ، فضل بذلك سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . والبيت مضمن لفظ الآية الكريمة « فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

دواء الناس

عن أدب الدنيا والدين :

أنشد الربيع للشافعى قوله :

لما عفـوت ولم أحقـد على أحـد أرحت نفسى من هـم العـداوات
انى أحيى عـدوى عنـد رؤيتـه لأدفـع الشر عنى بالتحيـات
وأظهر البشر للانسـان أبغضـه كأنمـا قد حشـا قلبى محبـات
النـاس داء . دواء النـاس قربهم وفى اعتـزالهم قطـع المـودات

يرى الشافعى فى هذه الأبيات — كما يرى بعض الناس — الاستكثار من الأصدقاء والاستقلال من الأعداء ، ولا يكون ذلك الا بالصفح وطرح الحقد وحسن الملاقاة . ومعانى الأبيات واضحة ، وقد ختمها بحكمة تقول ان الناس داء لا دواء الا القرب من هذا الداء أما العبد عنه ففيه كل الأذى ، وهو مأخوذ من قول الشاعر : وداونى بالتى كانت هى الداء .

الصديق الحق

وعن أدب الدنيا والدين .

روى الربيع للشافعي قوله :

أحب من الاخـوان كـل مواتي   وكل غضيض الطرف عن عثـراتي
يوافقني في كــل أمـر أريـده   ويحفظني حيـا وبعـد وفاتي
فمن لي بهـذا ؟ ليت أني أصبته   فقاسـمته ما لي من الحسـنات
تصـفحت اخـواني وكان أقـلهم   — على كثرة الاخوان — أهل ثقاتي

يطلب الشافعي أن يجد صاحبا يلبيه اذا رجا ويعفو عنه اذا أخطـأ ويعينه في كل أمر يريده ، ولا بد أن الأمور التي يريدها الشافعي انما هي أمور الخير وليس كل أمر على اطلاقه . فاذا مات حفظه بعد موته ولم يدع سـرته نهبا للناس .

ويتمنى الشافعي أن يجد مثل هذا الصديق وأن يعينه الناس على البحث عنه لعله يجده ، ولو أنه وجده لقاسمه كل ما يملكه من الحسنات الدنيوية بل ويقتسم معه جزاءه في الآخرة أيضا .

ولكن الشافعي يرجع فيقول ان هذا الصديق يقل وجوده بين من نعدهم من الأصدقاء الكثيرين ، وليست هذه القلة الا في الموثوق بهم منه . وبعد الخبرة يبين الغث من السمين .

قلة المـال

عن نور الأبصار للشبلنجي نقلا عن كتاب المناقب للرازي .
قال الشافعي رضي الله عنه :

يا لهف نفسي عـلى مال أفـرقه   عـلى المقلين من أهـل المروءات
ان اعتـذاري الى من جاء يسألني   ما ليس عندي لمن احدى المصيبات

يتلهف الشافعي في هذه المقطعة على المال الذي يريد أن يفرقه على الفقراء من أهل المروءة ويندب حظه لعدم حصول هذا المال في يده ليسعف به المحتاجين . وهو يعتبر الاعتذار بالعدم والفقر مصيبة من المصائب يحس

بها هو فى نفسه لعدم اسعافه الطالب ، ويحس بها الطالب الذى لا يجاب الى طلبه ، فهى بلوى من جانبين ومصيبة من ناحيتين .

ذل التعلم

عن نصيحة الاخوان شرح لامية ابن الوردى .

قال الشافعى :

تصبر على مر الجفا من معلم ... فان رسوب العلم فى نفراته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعا لوفاته
حياة الفتى — والله — بالعلم والتقى ... اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

يقول الشافعى : لا تبرم من جفاء المعلم لك عند تقصيرك ، لأن جفاءه سبب فى انتباهك واستقرار العلم فى نفسك لاقبالك عليه خوفا من جفائه . والاستقرار هو المراد بكلمة الرسوب فى البيت الأول . ويريد بتكبير الأربع تكبير صلاة الجنازة اذ قد وجبت لموت نفسه كما تجب عند موت جسمه . وأضاف الشافعى التقى الى العلم ويريد به عمل الانسان بما يعلم . وقيمة القسم فى البيت الأخير التأكيد بأن العلم لا ينفع ما لم يرافقه العمل ، وهو قول الفقهاء والصوفية وعليه ساروا . وذات العالم وحياته لا اعتبار لها الا بالعلم والعمل معا .

حسن الصحبة

عن آداب الشافعى ومناقبه رواها تلميذه الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى ينشد :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت ... بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
هم خلطونا بالنفوس وألجئوا ... الى حجرات أدفأت وأظلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقى الذى يلقون منا لملت
وقالوا هلسوا الدار حتى تبينوا ... وتنجلى الغماء عما تجلت
ومن بعد ما كنا لسلمى وأهلها ... عبيدا وملتنا البلاد وملت

يشكر الشــافعى من أعانه فى ضيقه ثم يبين كيف كانت الاعانة ، وقد كانت بأنهم خلطوه بالنفوس وجعلوه منهم ولم يفرقوا بينهم وبينه . وفى البيت الثالث تصوير رائع لصبر الذين ألجئوهم وذلك لقياس صبرهم بصبر الأم وجعلهم أصبر منها وذلك ممتنع عادة . وقد استمرت مدة ايوائهم طويلا وكانوا يقولون : أقيموا بيننا حتى تتبينــوا لكم طريقا فى الســير والعيش بعد انكشاف الكرب والشدة . والبيت الأخير يشير الى أن قوما قبل هؤلاء لم يفعلوا معهم كما فعل هؤلاء .

وقد قال صاحب آداب الشافعى اثر ايراد هــذه المقطعة : وقال بعض علماء العربية : هذا الشعر لطفيل الغنوى الجاهلى . وقد أثبت محققه أنهــا لطفيل . وبهذا كان الشافعى يحبها فينشدها ويرددها كثيرا وقد أنشدها من قبل الشافعى بعض الخلفاء فى الأحوال التى تناسبها ، وهو دليل حاسم على أنها ليست له .

قافـــة الجيم

تصوف وفخر

عن وفيات الأعيان .

قال ابن خلكان : ومن المنسوب الى الشافعى قوله :

ماذا يخبـر ضيف بيتـك أهـله	ان سـيل كيف معـاده ومعاجه ؟
أيقـول جاوزت الفـرات ولم أنل	ريـا لـديه وقـد طغت أمـواجه
ورقيت فى درج العـلا فتضـايقت	عمـا أريـد شـعابه وفجـاجه
ولتخبـرن خصـــاصتى بتملقى	والمـاء يخبـر عن قـذاه زجاجه

عنـــدى يواقيت القـريض ودره	وعـلى اكليـل الـكلام وتاجـه
تربى على روض الربـا أزهـاره	ويرف فى نـادى النـدى ديباجه
والشاعر المنطيـق أسـود سـالخ	والشـعر منه لعـابه ومجـاجه
وعـداوة الشـعراء داء معضـل	ولقد يهـون على الكريم عـلاجه

هذه المقطعة تشمل غرضين أولهما فكرة صوفية وثانيهما الاشادة بالشعر وكل منهما أربعة أبيات . وقد أشار البيت الأول الى الروح التى هى ضيف البيت والبيت هو البدن ، وأراد بالمعاد والمعاج الحياة الأخرى بعد البعث الى ما كان عليه الانسان قبل . وقد أراد بالفرات الشريعة والتقوى ، وبدرج العلا درجات العبادة . والمعنى أنه لم ينل ما يريده من تصعيده فى درجات العبادة التى سلكها فلم يخلص فيها . والخصاصة الفقر الشـديد . ويريد الشافعى أن مظهر الفقر المصطنع يخبر عن التملق الخفى كما يخبر الزجاج الصافى عن لون الشراب الذى فيه . وكأن الشافعى بهذا يغمز من يدعى التصوف كذبا يلبس الخرقة دون لباس التقوى .

وقيد الشافعى الأزهــار والروض بالربا لأنها أبهج وأحسن . والمجانسة التى جاء بها فى نادى الندى رائعة . أما الأسود السالخ فنوع من الحيات قد سلخ جلده وقد شبه به الشــاعر الهجاء حين يطرح عنه رداء الحياء . ولكن الشافعى يرى فى البيت الأخير أن الكريم يسهل عليه شفاء الداء المعضل من عداوة الشعراء وذلك باكرامهم بالندى والعطايا وهو ما عبر عنه قديما بقطع اللسان ، أى اسكاته بالجود .

ويلاحظ أن محاولة ربط التصوف بالاشادة بالشعر والفخر ووصلهما فى سياق واحد صعب ، ولعلهما كانا منفصلين فى مقطعتين فربطهمـا الرواة لاتفاق الوزن والقافية .

الفرج القريب

عن تفسير ابن كثير .

يروى عن الشافعى قوله :

صــبرا جميــلا ما أقــرب الفرجا ... من راقب الله فى الأمور نجـــا
من صـــدق الله لم ينــله أذى ... ومن رجــاه يــكون حيث رجــا

وأصل هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم « نزل المعونة من السماء على قدر المئونة ونزل الصــبر على قدر المصيبة » وقد فرع الشافعى على المعنى .

ومعنى أن يصدق الانسان الله أن يخلص له العبادة قولا وعملا .

قافيــة الحــاء

فتــوى

عن معجم الأدباء أن الربيع بن سليمان أحد أصحاب الشافعى قال : كنا عند الشافعى اذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم ثم كتب فيها ودفعها اليه . قال فقلنا : يسأل الشافعى عن مسألة لا تنظر فيها ولا فى جوابها ؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها ، واذا فيها .

سـل المفتى المكى هـل فى تزاور وضمة مشتاق الفـؤاد جنـاح

قال : واذا اجابة أسفل من ذلك :

أقول معـاذ الله أن يذهب التقى تلاصـق أكبـاد بهـن جـراح

والمراد بالجناح الذنب وبالجراح جمع جراحة . والبيت الثانى هو فتوى الشافعى وما أرق فتواه وأحسن خلقه اذ لم يرد سائله بلا جواب ، وكان جوابه شعرا من جنس السؤال .

وفى الفتوى دقة وخفاء اذ يفهم أن تلاحق الأكباد مع كلمة التقى لا يكون الا لزوجين ، فالشافعى لم يسرف اسراف شاعر ، ولم يخرج عن الفقه الذى هو به أولى . رضى الله عنه .

قافيــة الدال

عفو الله

عن نور الأبصار نقلا عن الروض الفائق للحريفيش : روى سويد بن سعيد قال : كان الشافعى جالسا بعد صلاة الصبح فى مدينة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذ دخل عليه رجل فقال له : انى خائف من ذنوبى أن أقدم على ربى وليس لى عمل غير التوحيد ! فقال له الامام الشافعى رضى الله عنه : يا مؤمن ، لو أراد الله عز وجل أن يؤيسك من المسامحة لديه لما أحالك فى مغفرة الذنوب عليه حيث يقول : « ومن يغفــر الذنوب الا الله » ولو أراد عقوبتك فى جهنم وتخليدك لما ألهمك معرفتك به وتوحيدك له ، ثم أنشد :

ان كنت تغــدو فى الذنوب جليدا	وتخــاف فى يوم المعــاد وعيــدا
فلقــــد أتــاك من المهيمن عفــوه	وأتــاح من نعم عليــــك فــريدا
لا تيأسن من لطف ربك فى الحشا	فى بطــن أمك مضــغة ووليــدا
لو شــاء أن تصلى جهنم خالــدا	ما كان ألهــم قلبــك التوحيــــدا

قال : فبكى الرجل وأقبل على العبادة وفرح لكلامه رضى الله عنه .

ويرى الشافعى فى البيت الثالث أن لطف الله وتقديره لسعادة المخلوق أو شقائه يكون فى أول خلقه فى بطن أمه ولما يستكمل بشرا سويا . وفى البيت الأخير يلصق الشافعى التوحيد بالقلب وهو مرادف الايمان لا ما تنطق به جارحة اللسان من غير اعتقاده فى القلب ، وهو التوحيد الحق ، وان الهام القلب معرفة الله وتوحيده هداية منه ودليل على الخير للموحد حتى لو كان عاصيا . وهذا استمداد من آراء الصوفية .

أفعال الزمان

عن نصيحة الاخوان شرح لامية ابن الوردى .

قال الشافعى :

محـن الزمـان كثـيرة لا تنقضى وسروره يأتيـك كالأعيـاد
ملك الأكابـر فاسـترق رقـابهم وتـراه رقـا فى يـد الأوغاد

فى البيت الأول قياس لمحن الزمان ومسراته ، فهذه قليلة نادرة ، وتلك كثيرة موفورة . ويريد بالأكابر أهل الفضـل والعلم فالزمان يسترقهم بينما يسترقه الأوغاد . والشافعى يريد بالزمان ماله وجاهه ففى كلامه ايجاز .

ذم الشماتة

عن نور الأبصار وحياة الحيوان للدميرى .

قال ابن عبد الحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعى فذكر ذلك للشافعى فقال :

تمنى رجـال أن أمـوت وان أمت فتلك سـبيل لسـت فيها بأوحـد
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى تهيـأ لأخرى مثلهـا فـكأن قـد
وقد علمـوا لو ينفع العلم عنـدهم اذا مت ما الداعى عـلى بمخـلد

وابن عبد الحكم من أصـحاب الشـافعى فى مصر وكان من أكبـر أصحاب مالك ومن كتبه «عمر بن عبد العزيز رواية عن مالك» وكتاب «فتوح مصر وأخبارها » وأشهب هو ابن عبد العزيز بن داود الفقيه المالكى المصرى ولد فى السنة التى ولد فيها الشافعى ومات بعده بثمانية عشر يوما ، واشتهر بعداوته للشافعى .

والشافعى فى شعره يلوم أن يتمنى أعداؤه موته لانهـا أمنية سـفهاء اذ الموت سيقع بالمتمنى والمتمنى له ، فكأن متمنى الموت لغيـره يتمناه لنفسه وهى غباوة لا محالة ، و « كأن قد » اصطلاح عربى معناه : أصبح وشيكا

أن يحدث لك فى قابل أيامك غيـــر ما حدث لك فى ماضيها . وكلمة العلم فى البيت الثالث معناها المعرفة المؤكدة . وقد قال ابن عبد الحكم : فمـــات الشافعى فاشترى أشهب من تركته عبدا فاشتريته من تركة أشهب بعد ثلاثين يـــوما .

وقد رويت هذه الأبيات لجرير . واذا صح ذلك كان الشافعى متـ[illegible] بها مكثرا من ترديدها حتى حسبت كأنها له ، شأنه فى المقطعة السابقة المروية عنه والثابت أنها لطفيل الغنوى .

عداوة الحساد

عن نور الابصار للشبلنجى .

قال الشافعى رضى الله عنه :

كل العـــداوة قد تـــرجى مـــودتها   الا عـــداوة من عـــاداك عن حسد

وهذا بيت واحد معناه أن الحاسد لا يرجع عن عداوته أبـــدا ، لأن الحسد داء دفين ، أما غير الحاسد فقد يرجع وينقلب صـــديقا ، ومع ان المعنى لم يفز بغير الفاظ منطوقة فانها تجربة صادقة كل الصدق عن داء الحسد وبلوى الحساد .

حق الجار

عن معجم الأدباء لياقوت عن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال :

جاء رجل الى الشافعى فقـــال له : أصلحك الله ! صديقك فلان عليل . فقال الشافعى : والله لقد أحسنت الى وأيقظتنى لمكرمة ودفعت عنى اعتذارا يشوبه الكذب ، ثم قال :

يا غلام ، هات السبتية (والسبتية : نعال مدبوغة لينة) ثم قال : للمشى على الحفاء (بلا نعـــل) على علة الوجاء (العلة المؤلمة كأنها من الوجأ باليد أو السكين) فى حر الرمضاء (الأرض الحارة من شدة الحر فى الصـــيف

ووهج الشمس) من ذى طوى (جوع) أهون من اعتـذار الى صـديق يشوبه الكذب ، ثم أنشد :

أرى راحـة للحـق عند قضـائه ... ويثقل يـوما ان تركت على عمـد
وحسـبك حظا أن ترى غير كاذب ... وقـولك لم أعلم وذاك من الجهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه ... وصـاحبه الأدنى على القرب والبعد
يعش سيدا يستعذب الناس ذكـره ... وان نابه حق أتوه عـلى قصـد

عطف الشافعى فى البيت الثانى : وقولك لم أعلم ، على غير كاذب يريد أنك ترى غير كاذب وغير قائل لم أعلم ، أى غير معتذر بغير الحق . ويريد بالجهد ـ بفتح الجيم ـ التعب .

وقد قدم الشافعى حق ابن العم والصاحب الأدنى ـ ويشير به الى ذوى الارحام عامة ـ على الجار جريا على ترتيب ذوى الحقوق ، فلم يدعه الفقه الا أن يرتب ترتيبه . ويريد بقوله : ان نابه حق أى حلت به مصـيبة من موت أو مرض أو حاجة .

ترصد الموت

عن العمدة لابن رشيق .

قال الشافعى رضى الله عنه :

ومتعب العيش مـرتاحا الى بـلد ... والمـوت يطلبه من ذلك البلـد
وضـاحك والمنايا فـوق مفـرقه ... لو كان يعلم غيبا مـات من كمـد
من كان لم يؤت علما فى بقاء غـد ... ماذا تفكـره فى رزق بعـد غـد

يقول الشافعى : رب راغب فى الرزق ملح فى السفر الى بلد يقصده فيه والموت يترصده فى ذلك البلد الذى يظن فيه رزقه وحـياته . ويريد بقوله المنايا فوق مفرقه أنها قريبة منه بل تظلله فلا يسـتطيع الانتقـال من ظلها ، ولو كشفت له ورآها لمات كمدا . وفى البيت الأخير يقول : كيف يطلب الناس ضمان أرزاقهم لآجال بعيدة وتمتلىء نفوسهم غما شوقا للحصول عليها والوصول اليها وهم لا يضمنون حياتهم الى الغد القريب الملاصـق

ليومهم ؟ انه أولى لهم أن لا يفكروا ولا يغتموا لأنها ستأتيهم مهما عاشـوا .
وللصوفية فى ذلك أقوال وأعمال وتفاصيل .

مكانة الشافعي

عن نور الابصار ووفيات الأعيان ونصيحة الاخوان .

قال رضى الله عنه :

ولولا الشـعر بالعلـماء يزرى — لكنت اليـوم أشـعر من لبيـد
وأشجع فى الـوغى من كـل ليث — وآل مهـلب وأبى يزيـد
ولولا خشـية الرحـمن ربى — حسبت النـاس كلهـم عبيـدى

هذا المعنى مأخوذ من القرآن الذى أزرى بالشعراء . ولبيد هو ابن ربيعة . ويريد الشافعى أنه كان يكون أشعر من لبيد فى جاهليته ، اذ أمسك لبيد عن الشعر حين أسلم ، فلا مفاضلة اذن . وآل المهلب ابن أبى صفرة وقد اشتهروا بالشجاعة وأبو يزيد أحدهم .

وقد قال الشعرانى فى كتابه المنن ان الشافعى يعنى بالناس فى البيت الأخير أبناء الدنيـا الذين يحبونها ، بقرينة قول بعض العـارفين (أى من الصوفية) لبعض الملوك : أنت عبد عبدى . فقال : ولم ذلك ؟ فقال ، لأنك عبد الدنيا والدنيا خادمة لى .

والشعرانى يعتبر الشافعى عالما بهذه الحال وهذا الكلام . ولو أراد الناس كلهم من أبرار وأشرار لكان كبرا منه وبطرا . والشافعى يجـل عن ذلك .

قافيـة الـــراء

صفة الجليس

من كلامه رضى الله عنه عن نور الأبصار :

اذا لم أجـد خـلا تقيـا فوحدتى ألذ وأشـهى من غـوى أعـاشره
وأجلس وحـدى للسـفاهة آمنا أقـر لعـينى من جليس أحـاذره

جعل الشافعى فى البيت الأول مقابلة بين لفظتى تقى وغـوى . ومعنى كلامه فى البيتين أنه يفضل الانفراد اذا لم يجد أخلاء أتقياء يعاشرهم ، وذلك أفضل له من أن يندفع الى الاجتماع بالأغوياء . وجلوسه وحـده آمنا من سفاهة السفهاء أقر لعينه من الجليس الذى يحاذره لجهله آداب المجالسة . وقد عقد الشافعى فى البيت الثانى ففيه تقديم وتأخير وحقه أن يكـون : وأجلس وحدى آمنا من السفاهة . وذلك لئلا يغيب المعنى أو يلتبس . وهذه احدى المآخذ على شعره .

الصديق والعدو

عن كتاب تنبيه المغترين للامام السعرانى .

كان الشافعى رضى الله عنه كتيرا ما ينشد قوله :

وليس كثيـرا ألف خـل لواحـد وان عـدوا واحـدا لكثـير

وهذا يفيد حب الشافعى لكثرة الاصدقاء ونفوره وتنفيره من اتخـاذ الاعداء ، وهى اخلاق المعلمين والأئمة الذين يتعرضون للناس ويستكثرون من تلاميذهم وأصحابهم .

عظمة النفس

عن المستطرف للأبشيهى ونور الأبصار .

قال الشافعى رضى الله عنه :

على ثياب لو تقاس جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده اذا كان عضبا حيث وجهته برى

لعل الشافعى قال هذه الأبيات أول أمره حيث كان بادى الفقر . وروعة ما فى البيت الثانى أن نفوس الخلق جميعا لو وزنت ببعض نفسه لرجح هذا لبعض فماذا يكون وزن نفسه كلها ؟ لعلها ترجح على الثقلين والكونين! ولا يخفى أن فى البيت مغالاة .

والشافعى يشبه نفسه فى البيت الأخير بالسيف الماضى الضريبة حيث وجهته قطع ولا عبرة بملابسه ومظهره فهما يشبهان غمد السيف الممزق التالف أما السيف فسليم . ويحق للشافعى أن يقول هذا لأنه أصاب أكباد العلم كلها فى زمانه وفاق الأمة جميعا وقد بلغ ذلك منذ صباه ، وفى بعض ذلك حكايات مشهورة عند لقائه للامام مالك ولهرون الرشيد مع أصحاب أبى حنيفه

خوف النار

وعن نور الأبصار قال :

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسى ويصبح فى دنياه سفارا
هلا تركت لذى الدنيا معانقة حتى تعانق فى الفردوس أبكارا ؟
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها فينبغى لك أن لا تأمن النارا

ينادى الشافعى من يكثر سفره ومطامعه وآماله وراء مطالب الدنيا أن يكف عن أسفاره ومطامعه ويطلب العمل الصالح للآخرة حتى يكون له نصيب من الفردوس التى هى من أسماء الجنة أو هى أعلى درجاتها . والمفهوم — فى البيت الأخير — أن الأمن من النار يكون بالعمل المبعد عنها والمدنى من الجنة ، وفى البيت تلميح للمعنى جسيل . وقد تكرر هذا المعنى فى أقوال الشافعى .

عن آداب الشافعى .

قال رضى الله عنه :

ومن الشـــقاوة أن تحـــب ومن تحـب يحـــب غيـــرك
أو أن تريد الخير للانســـان (م) وهـــو يريـــد ضـــرك

وقد كرر الشافعى فى شعره معنى البيت الأول وقد سبقت الاشـارة اليه فى بعض ما عرض منه . أما البيت الثانى فهـو أقوى من الأول معنى وأسد ، وهو أن من تحبه لا يكتفى بالانصراف عنك الى غيرك ولكنه يسعى لأذاك ، وهذه زيادة معنى عمن طرقوه من قبل .

أمر الله

عن كتاب المخزون فى تسلية المحزون لجامع له مجهول .

قال الشافعى :

أفكـر فى نـوى الفى وصـبرى وأحمـــد همتى وأذم دهـــرى
وما قصرت فى طـــلب ولـــكن لرب الناس أمـر فـــوق أمـرى

فى البيت الثانى بيان غلبة القضاء على الحذر ، وغلبة القدر على التدبير والقسمة على الحرص ، فنتج عن ذلك الخطأ فى حمد المـرء همة نفسه وذمه للدهر ، وهو ما فى البيت الأول . وقد أشبع الصوفية هذه الفكرة بحثا . انظر الحكم لابن عطاء الله السكندرى وشروحها .

المرء أعلم بنفسه

عن نور الأبصار أن الشافعى رضى الله قال :

ما حـك جلـــدك مثـل ظفـرك فتـول أنـت جميـــع أمـــرك
واذا قصـــدت لحاجـــة فاقصـــد لمعتـــرف بفضـــلك

والبيت الأول مشهور ولعل الشافعى أجازه بالبيت الثانى . وفى البيت تنسبيه تمثيل فيه ما يدل على المشبه به وهو العلة المثبتة .

أمنيـــة تتحقق

عن تاريخ بغداد للخطيب ومعجم الأدباء والمخزون فى تسلية المحزون :

حكى عن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول فى قصة ذكرها :

لقد أصبحت نفسى تتوق الى مصر ومن دونهـــا أرض المهـــامه والقفر
فوالله ما أدرى أللفـــوز والغنى . أســـاق اليها أم أساق الى قبـــرى ؟

وقال الربيع : فوالله ما كان الا بعد قليل حتى سيق اليهما جميعا (أى للغنى والقبر) وقد روى البيتين أيضا أبو بكر ابن بنت الشافعى قال : قال الشافعى بمكة حين أراد الخروج الى مصر .. وذكـــر البيتين . ســـوى أنه روى : ومن دونها قطع المهامه . قال : فخرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد وليس عليه الا خرقة فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت اليه أحـــد فقال : على ثياب لو يباع جميعها .

نفس الحر

عن مقدمة كتاب الأم .

قال رضى الله عنه :

أمطرى لؤلؤا جبـــال سرنديب (م) وفيضى آبـــار تكـــرور تبـــــرا
أنا ان عشت لســـت أعـــدم قـــوتا وإذا مت لســـت أعـــــدم قبـــــرا
همتى همـــــة الملـــــوك ونفسى نفس حـــر تـــرى المذلة كفـــرا

العجب أن ينسب الشافعى اللؤلؤ الى الجبال وهو من البحر ، ولكن لما كانت جبال سرنديب لابد فيها كل يوم من مطر وكان الياقوت الأحمر تحدره السيول والأمطار منها الى الحضيض فيلقط وكان بها الماس أيضا ـ وهو ما ذكره ياقوت فى معجم البلدان ــ فقد ذكرها الشافعى باللؤلؤ مريدا تلك الاحجار الكريمة ، ومع هذه الغزارة والغنى فى أمطار جزيرة سرنديب الهندية فقد سخر بها الشافعى ، وسخر كذلك بآبار تكرور التى يقال ان فيها مناجم الذهب . وتكرور بلاد تنسب الى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب . وقد جمع البيت فى السخرية أطـــراف الأرض من مشرقهـــا الى مغربها .

ويريد الشافعى بهذا القول أنه يمسك عن الرحلة الى البلاد البعيدة التى يقصدها الناس للغنى ويبين سبب مكوثه فى البيت الثانى بأنه لن يعدم قوته اذا عاش وقبره اذا مات . ومدى ما يطلب الانسان فى حياته وموته خبز وقبر .

ويشير الشافعى فى البيت الثالث الى نفسه الحرة التى تأبى مذلة الاغتراب وطلب الغنى من المكان البعيد ، بل ومن المكان القريب .

الافتخار بالعلم

عن معجم الأدباء ، حدث الحسن بن محمد الزعفرانى قال : سئل الشافعى عن مسألة فأجاب فيها ، ثم أنشأ يقول :

اذا المشكلات تصدين لى ... كشفت حقائقها بالنظر
لسان كشقشقة الأرحبى ... أو كالحسام اليمانى الذكر
ولست بامعة فى الرجال ... أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكننى مدره الأصغرين ... جلاب خير وفراج شر

وقد قيل ان هذا الكلام من شعر على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ويريد القائل أنه يكشف بنظره الثاقب الحكيم ما يعترضه من الأمور المشتبهة التى تحتاج الى توضيح بالأدلة والنظر والاستنباط .

ويبين فى البيت الثانى أنه يكشفها فى بلاغة ويفصح عنها فى بيان لأنه انما رزق فما كأفواه الابل النجائب اذا هاجت أخرجت من أفواهها رغوة الهياج . وما يقوله من البيان والحكم يكون فيصلا حاسما كما يفعل الحسام اليمانى من الحديد الذكر ـ والحديد الذكر نوع من الحديد الجيد يعرف فى زماننا بالصلب وهو ضد الأنيث لا الانثى . والأنيث ما يسمى بالحديد المطاوع فى زماننا وهو أقل جودة من الحديد الذكر ـ .

والامعة الذى يتابع كل واحد على رأيه اذ لا رأى له هو فلا يثبت على حال ؛ ولكن القائل يصف نفسه بأنه مدره مقدم فى اللسان واليد عند الخطوب والجدل والقتال . والأصغران هما القلب واللسان وقد سميا كذلك

لصغر جرمهما وان كانا أخطر ما فى الانسان كله . وهذا القول مأخوذ من قول الغلام العربى من وفد الحجاز على عمر بن العزيز يقول له « يا أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا وهب الله العبد قلبا حافظا ولسانا لافظا فقد استحق الكلام » واذا صح هذا الأخذ كان الكلام للشافعى ، واذا اتفقت الخواطر جاز أن يكون للامام على كرم الله وجهه لأن الأخذ عن عمر بن عبد العزيز لا يكون الا بعده .

أدب التناظر

عن تاريخ الامام الشافعى للرفاعى : روى الربيع بن سليمان أن الشافعى رضى الله عنه كتب هذه الأبيات الى أبى يعقوب البويطى حاثا على الانصاف والانتصاف فى المناظرة يقول :

اذا ما كنت ذا علم وفضل ... بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تناظر فى سكون ... حليما لا تلح ولا تكابر
يفيدك ما استفاد بلا امتنان ... من النكت اللطيفة والنوادر
واياك اللجوج ومن يرانى ... بأنى قد غلبت ومن يفاخر
فان السر فى جنبات هذا ... فميز بالتقاطع والتدابر

ينصح الشافعى أن يناظر العالم زميله فى هدوء عند سوق الأدلة من غير جلبة أو ازدهاء مهما كان ذا فضل واسع وعلم غزير .

ولا يريد الشافعى بالنكت اللطيفة والنوادر الأمور المضحكات ولكنه يريد الاجابات الشافية الكاشفة للأسرار الخفية والفريدة فى نوعها وجدتها . ويحذر من المناظر اللجوج الذى لا يفتأ يبدى ويعيد ويرغى ويزبد ، كما حذر من الذى يبحث عن غلبته لخصمه وينتظرها متلهفا ، وكذلك من الذى يفاخر بانتصاره .

وفى البيت الأخير يرى الشافعى أن الشر فى هذه الأمور التى ذكرت وأن أصحابها معروفون بالتقاطع والتدابر فعلى العلماء أن يعفوا عن مناظرتهم ويجلوا عن جدالهم .

قافية السين

تنكر البلاد

عن تنبيه المغتربين للشعرانى .
قال الشافعى :

صديق ليس ينفع يوم باس ... قريب من عدو فى القياس
ولا يرجى الصديق بكل عصر ... ولا الاخوان الا للتآسى
خبرت الناس ملتمسا بجهدى ... أخا ثقة فأكداه التماسى
تنكرت البلاد على حتى ... كأن أناسها ليسوا بناس

يذكر الشافعى رضى الله عنه فى هذه الأبيات فقدان الأصدقاء الذين تتوافر فيهم شروط الصداقة والأخوة ، بينما لا يرجى الاخوان والأصدقاء الا لأن يواسى بعضهم بعضا ويعين الأخ أخاه . ويدعى الشافعى أنه عبر العباد والبلاد فأكدى ولم ير فى العباد ولا البلاد الا من عدموا صفات الاسان .

وأكدى ، فعل لازم ولكن الشافعى عداه مضمنا .
وتنكر البلاد : تغيرها حتى كأن ساكنيها لا يتصفون بصفات الانسان .

قافيـة الصـاد

تعليم الله

عن ايقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة الحسنى ولم ينسبه للشافعى . وعن تعليم المتعلم للزرنوجى ، وقد نسبه اليه . وكذلك عن حاشية الصاوى على تفسير الجلالين .

قال الشافعى رضى الله عنه :

شكوت الى وكيع سوء حفظى   فأرشدنى الى ترك المعاصى
وقال: اعلم بأن العلم فضل   وفضل الله لا يؤتاه عاصى

وكيع المشكو اليه هو وكيع بن الجراح من طبقة الشافعى فى الزمن ، ومن أعلام رواية الحديث ، ولعله لم يشك اليه ولكنه الود الذى كان شائعا معروفا بين الفقهاء وصار الآن عزيزا . والمعنى مقتبس من قوله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » فمن لا تقوى له لا يعلمه الله شيئا . وهو مذهب الصوفية فى الحصول على العلم ، ولا يعتبرون العلم الا ما يحصل فى قلب العالم من طريق الالهام ، وله طريقان : أولهما طريق الاجتباء والاختيار عن الله من غير مجاهدة . وثانيهما طريق الاجتهاد والتعب فى العبادة حتى تفتح أبواب القبول .

والأول طريق الأنبياء والاولياء والثانى طريق كل العباد .

قافيــة الضــاد

حب آل البيت

عن معجم الأدباء .

حدث الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول :

يا راكبـا قف بالمحصـب من منى   واهتف بقاعد خيفهـا والنـاهض
سـحرا اذا فاض الحجيج الى منى   فيضـا بملتطم الفـرات الفـائض
ان كان رفضـا حـب آل محمـد   فليشـهد الثقـلان أنى رافضى

المحصب موضع رمى الجمار من منى ، والخيف ــ بفتح الخاء وسكون الياء ــ هو غرة بيضاء فى الجبل الأسود الذى خلف أبى قبيس فى مكة ، وبها سمى مسجد الخيف ، وقصد الشـافعى أن يعم بندائه الـذى يريده الحجيج الاسلامى كله من كل البلدان ويبلغه الراكب فى سرعة طائفا به على الناس جميعهم من قاعد وناهض .

وقيد الشافعى النداء بوقت السـحر ليكون أسـمع فى الآذان حيث لا يكون الا صوت المنادى . وفاض وأفاض واحد أى نزل من عرفات لقوله تعـالى « فاذا أفضتم من عرفات .. » وشبه الشافعى الحجيج بملتطم الفرات أى بأمواجه الطاغية الفائضة ، وقد حسن أن يشبهه بأمواج عذبة دون الملحة لمكان الطهارة وعذوبة العبادة التى هم فيها . وهذا ملمح يفوت الشـعراء ويعيى البلغاء .

والأصل فى الرفض التعصب لأهل البيت والتطرق فيه . والثقـلان الانس والجان . ولما كان الشافعى ميالا لأهل البيت مفرط الحب لهم وقـد

اتهم لذلك بالرفض فقد نادى فى هذه الأبيات بقبول التهمة معلنا بها عـلى رءوس الحجيج ليشهد العالم الاسلامى كله بذلك ولكن من غير أن يقع فى عيوب الرفض وغلوائه ، ولا تنس أن الشافعى هاشمى . ولذلك ذاع مذهبه وشاع فى كل الأطراف .

قافيــة العــين

فتــوى

عن معجم الأدباء أن رجلا جاء الشافعى برقعة فيها :

ســل المفتى المكى من آل هاشــم　　اذا اشــتد وجد بامرىء كيف يفعل

فكتب الشافعى تحته :

يداوى هــواه ثم يكتم وجــده　　ويصــبر فى كل الأمور ويخضــع

فأخذها صاحبها وذهب بها ثم جاءه وقد كتب تحت هــذا البيت الذى هو الجواب :

فكيف يداوى والهوى يقتل الفتى　　وفى كل يــوم غصــة يتجــرع

فكتب الشافعى :

فان هو لم يصــبر على ما أصــابه　　فليس له شىء ســوى الموت أنفع

وهذا الكلام له مثل سبق أن أشرنا اليه ، الا أن هذا أسد وأوســع شرحا للالحاح على الشافعى بالسؤال .

بذل الرأى

عن آداب لشافعى ومناقبه .

قال حرملة بن يحيى : سمعت الشافعى ينشد :

ولا تعطين الــــرأى من لا يريده　　فلا أنت محمــود ولا الرأى نافعه

يقول : فلا أنت محمود .. أى ان بذلت له الرأى وهو لم يطلبه ، ولن يعمل برأيك الذى تطوعت به ، فلن ينفعه ، وبذلك تكون قد خسرت عنده نفسك ورأيك .

القناعة والطمع

عن مقدمة كتاب الأم .

قال الشافعى :

العبـــد حـــر ان قنـــع والحـــر عبـــد ان قنـــع
فاقنـــع ولا تقنـــع فـــلا شىء يشـــين ســـوى الطمع

فى البيت الأول قنع بكسر النون وفتحها من الأضداد والأولى بمعنى الرضا والقناعة والثانية بمعنى الطمع والبطر . ومعنى الكلام واضح .

وقد نصح الشافعى فى البيت الثانى باتخاذ القناعة لا الطمـاعة مذيلا بالسبب الذى من أجله يشان الطامع ويزان القانع .

قافيـــة الفـــاء

سياسة الناس

عن آداب الشافعى ومناقبه أن حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعى يقول :

ودع الذين اذا أتـوك تنسكـوا   واذا خلوا فهـم ذئاب حقـاف

وكأن هـذا البيت مسبوق بكلام قبله . والحقاف جمـع حقف بكسر الحاء فى الجمع والمفرد وهو ما اعوّج من الرمل واستطال . والكلام مقتبس من قوله تعالى « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم »

قافيــة القاف

النفع الضار

عن وفيات الأعيان نسب الى الشافعى أنه قال :

رام نفعــا فضر من غــير قصــــد ... ومن البــر ما يــــكون عقـــوقا

وفى هذا البيت لم يرتب الشافعى ذنبا على العقوق الذى سببه ارادة البر ، لأن الضر الذى وقع به لم يكن مقصودا وانما كان المقصود النفع ولكن جزاءه جزاء من يصيب غرضا خطأ .

رزق المجانين

عن المخزون فى تسلية المحزون أن الشافعى قال يخاطب غيره :

رزقت مالا عــلى جهــل فعشت به ... فلســت أول مجنـــون بمرزوق

يرى الفقهاء أن العقلاء والعلماء أقل رزقا من الجهــال ، والشــافعى على هذا الرأى . وقد سئل جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه : لم يرزق الله الجهلاء أكثر مما يرزق العقلاء ؟ فقال : لئلا يغتر أهل العقــل بعقولهم . والرأى الصحيح أن العقلاء والعلماء لا يهتمون بالمال اهتمام الجهلاء اذ ليس من أغراضهم الأولى وانما هو وسيلة يطلب بها ما هو أشرف منها ، لذلك قل عندهم وكثر عند الجهلاء .

مكان العلم

عن كتاب مجانى الأدب للأب لويس شيخو وشرح مقامات الحــريرى للشريشى .

قال الشافعى :

علمى معى حيثما يممت ينفعنى ... قلبى وعـــاء له لا بطن صـــندوق

ان كنت فى البيت كان العلم فيه معى ... أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

وهذا شبيه بقول القائل :

ليس بعـــلم ما حـــوى القمطـــر ما العـــلم الا ماحـــواه الصـــدر

الا أن قول الشافعى أرق لفظا وأوسع معنى وأبلغ تفصيلا .

حكم القضاء

عن آثار البلاد وأخبار العباد والمخزون فى تسلية المحزون والعمـدة والكشكول للبهئى وصفة الصفوة .

قال محمد بن المنصور :

قرأت فى كتاب طاهر بن محمد النيسابورى بخط الامام الشافعى :

ان امرءا وجد اليسار فلم يصـــب حمدا ولا شـــكرا لغـــير مـــوفق

الجـــد يدنى كـــل أمر شـــاسع والجـــد يفتح كـــل باب مغلـــق

واذا سمعت بأن مجـدودا أتى عـــودا فأورق فى يديه فصـــدق

واذا ســـمعت بأن مكدودا أتى ماء ليشربه فغـــاض فحـــقق

وأحـــق خلـــق الله بالهـــم امرؤ ذو همـــة يبـــلى بعيش ضـــيق

ومن الدليـــل على القضـــاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمـــق

فى البيت الأول لفظان للحمد والشكر والأول أعظم من الثانى وهو مرتب فى البيت من الأكبر للأصغر ، ومعناه أن الانسان اذا لم يعد عليه الغنى بالثناء الكثير أو القليل كان غير موفق وكان الغنى أشبه بالفقر ، والميسرة أشبه بالعدم .

والجـد فى البيت الثانى بفتح الجيم فى الشطرين ومعناه الحـظ . والمجدود فى البيت الثالث معناه المحظوظ وقد جاءت احدى الروايات بهذا اللفظ الأخير . ويراد بالعود الذى لم يثمر لتجرده . والمكـدود فى البيت الرابع : المحروم ، وفى رواية بهذا اللفظ الأخير . وحـقق فعل أمر بمعنى تحقق وصدق ما سمعته .

والبيت الخامس واضح ، وكونه فى البيت السادس معناه حدوثه وقد شرحنا رأى الفقهاء فى هذا الأمر من قبل .

قافية الكاف

اجتماع النقائض

عن المجموعة المباركة للقلنقولى

أنشد الشافعى رضى الله عنه فى فساد العالم المتهتك والجاهل المتنسك قال :

فساد كبير عالم متهتك ... وأكبر منه جاهل متنسك

هما فتنة فى العالمين عظيمة ... لمن بهما فى دينه يتمسك

يقول : غير خاف أن من اعتمد فى دينه على العالم المتهتك أو الجاهل المتنسك ضل وفسد ، اذا التهتك يفسد العلم ، والجهل يفسد العبادة ، وآراء الصوفية فى هذا الباب واسعة .

قافيـــة الـــلام

مشاكلة الناس

عن معجم الأدباء أنه جرت بين الشافعى وبين بعض أصحابه مجـانة ففـال :

وأنزلنى طـول النـوى دار غربة ... اذا شئت لاقيت امرءا لا أشـاكله
أحامقـه حتى يقـــال سـجيه ... ولو كـان ذا عقـــل لكنت آعاقله

يريد الشافعى بالنوى البعد عن العقلاء وأهل الدين الى أهل الهزل والمجانة تصنعا . وقد ألاقى جاهلا لا أشاكله ولا أوافقه ولكنى أجاريه فى حمقه حتى يظن الجهلاء أن ذلك طبيعة وخلقة بى ، ولو كان ذا عقل لشاكلته فى عقله وجريت معه فى فهمه . وهكذا من أراد أن يعيش مع النـاس كان مثلهم ولو تخلقا وتصنعا .

قلة الاخوان

عن مفامات الحريرى شرح الشريشى قال الربيع بن سليمان :

سمعت الشافعى ينشد :

صن النفس واحملها عـلى ما يزينها ... تعش سالما والقـــول فيك جميل
ولا تـرين النـــاس الا تجمـلا ... نبا بك دهـــر أو جفاك خليـل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى‌غد ... عسى نكـــبات الدهر عنك نزول
ولا خـير فى ود امرىء متلـون ... اذا الريح مالت مال حـيث تميـل
وما أكثر الاخـوان حـين تعدهم ... ولكنهم فى النائبـات قليـــل

وهذه الأبيات مروية لغير الشافعى ولعله أحبها فأنشدها وهى واضحة كل الوضوح لشهرتها .

استعارة كتب

عن مروج الذهب للمسعودى وشرح مقامات الحريرى للشريشى قال : استعار الشافعى محمد بن الحسن الكوفى الفقيه تلميذ أبى حنيفة شيئا من كتبه فلم يسعفه به فكتب اليه الشافعى رضى الله عنه :

قل للذى لم تر عينا (م)	من رآه مثله
ومن كأن من رآه (م)	قد رأى من قبله
لأن ما يجنه	فاق الكمال كله
العلم ينهى أهله	أن يمنعوه أهله
لعله يبذله	لأهله لعله

فبعث اليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التى سأل عنها .

يقول الشافعى : قل لمحمد بن الحسن الذى لم تر عينا الشافعى مثله ومن رآه فكأنه رأى الأئمة المهديين قبله لأنه بقيتهم . والبيتان مدح وهما مدخل لطيف فى الاستعارة التى يريدها من كتبه . وكلمة أهله الأولى فى البيت الثالث هم الذين عندهم العلم والثانية الذين يطلبونه ويستحقونه .

وكلمة لأهله فى البيت الخامس يريد بها الشافعى نفسه ويترجى أن يرسل اليه محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة بالكتاب الذى يطلبه .

والبيت الثالث فى هذه القطعة انفرد به مروج الذهب للسعودى .

طلب العلا

ومن المجموعة المباركة .

قال رضى الله عنه :

بقدر الكد تكتسب المعالى	ومن طلب العلا سهر الليالى
ومن رام العلا من غير كد	أضاع العمر فى طلب المحال
تروم العز ثم تنام ليلا	يغوص البحر من طلب اللآلى

ـ البيت الأول فى هذه الأبيات مروى ذائع ولعله نسى أنه للشافعى ، ولكن بقدر الذيوع يكون قبول النفوس للأقوال . والمحال فى البيت الثانى

هو المستحيل الذى لا يحدث . وفى البيت الثالث تشبيه العلم من مظانه باللآلىء من بحرها فيه جودة ظاهرة ، وفى تشبيه السهر فى التحصيل بالغوص على الدرر جودة ظاهرة كذلك . ويفهم منه أنه ليس كل انسان يحصل على العلم وانما يحصل عليه المتعب الساهر ، كما أنه لا يحصل على اللؤلؤ الا الغائص المعرض نفسه للمهالك والمغارق .

أهل العلم

عن الكشكول للبهائى .

قال الشافعى رضى الله عنه :

لا يدرك الحكمة من عمره ... يكدح فى مصلحة الأهل

ولا ينال العلم الا فتى ... خال من الأفكار والشغل

لو أن لقمان الحكيم الذى ... سارت به الركبان بالفضل

بلى بفقر وعيال لما ... فرق بين التيس والبغل

يقول الشافعى : لا يدرك الحكمة من يعمل عملا يريد به فائدة نفسه وأهله الدنيوية ، فعمله وكدحه ذاتى لا لوجه العلم والله ، وانما ينال الحكمة من خلا باله من كل ذلك ، وهذا ما طبقه الشافعى ومعظم الفقهاء ورجال الحديث والمتصوفة على أنفسهم اذ هجروا أغراضهم الدنيوية وأهليهم وبلادهم فى طلب العلم فحصلت لهم الثروة العلمية العظيمة من تضحياتهم هذه .

وسارت به الركبان أى سارت بأمثاله وشهرتها . وقد اختار التيس والبغل لوضوح الفروق بينهما .

والأبيات مع روعتها تصور كراهة الشافعى للفقر كما أنه لا يراه معينا على تحصيل العلم . والشافعى أصدق من يعطى رأيه فى ذلك لأنه جرب وقاسى من الفقر ما قاسى .

الرغبة فى الزيادة

عن وفيات الأعيان

قال الشافعى :

كلما أدبنى الدهر ... أرانى نقص عقلى

واذا ما ازددت علما ... زادنى علما بجهلى

فى البيت الأول مقابلة لطيفة بين التأديب والنقص ، ولطفها أنها مخترعة اذ تناقضت النتيجة مع السبب ، وكان من حق التأديب أن يجىء بالزيادة لا بالنقص . والبيت الثانى يوحى بأن كل من أدبه الدهر طمع فى زيادة العلم لاطلاعه على أن المخبوء عنه أكثر من الذى كشف له ، ولا يحس بذلك الا العلماء . والبيتان متكاملان .

قافيـة الميم

كرامة العلم

عن نصيحة الاخوان

قال الشافعي رضى الله عنه :

رأيت العـلم صاحبه كـريم	ولـو ولـدته آباء لئـام
وليس يـزال يرفعـه الى أن	تعظيم أمره القـوم الكـرام
ويتبعـونه فى كـل حـال	كراعى الضأن تتبعه السـوام
فلولا العلم ما سعدت رجـال	ولا عرف الحلال ولا الحرام

فى البيت الأول يشير الشافعى رضى الله عنه الى أن العلـم درجات ، فاذا بلغ العالم قمة العلم عظمته الكرام ، والمراد بالكرام من بلغوا قمما فى العلم وارتقوا فيه درجات .

ويريد الشافعى بالسوام البهائم تتبع راعيها أين توجه بها من غير عقل ولا غاية .. وفى البيت الأخير يشير الى أن العلم يلقى ضوءه على ذات العالم وعلى المسائل التى يعطى حكمه فيها ، ويوضح أن للعلم نورا محيطا يشمل العالم والمعلوم فهو من جهة يسعد الرجال ومن جهة يبين الحلال والحرام .

يوم الشامتين

عن الفهرست لابن النديم : حدث أبو الحسن الصابونجى المصرى قال : رأيت قبر أبى عبد الله الشافعى بمصر وعند رأسه لوح مكتوب عليه :

قضيت نحبى فسـر قـوم	حمقى بهم غفـلة ونـوم
كأن يـومى عـلى حتـم	وليس للشـامتين يـوم

وهذا الكلام أشبه بكلام الشافعى الذى كان وجهه الى أشهب — وقد سبق فى قافية الدال — ولعله كان قاله أوأوصى بكتابته على قبره .

دعاء وابتهال

عن الروض الفائق ونور الأبصار : روى عبد الله بن مروان أنه حفظ من جملة دعاء للشافعى قوله : « اللهم امنن علينا بصفاء المعـرفة ، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة ، وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك ، وامنن علينا بكل ما يقـربنا اليك مقرونا بعوافى الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين » .

قال : فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف ينظر الى السماء ، ثم أنشد :

بموقف ذل دون عـــزتك العظمى	بمخفى سـر لا أحيـط به علمـا
باطـراق رأسى باعتـــرافى بذلتى	بمد يدى أستمطر الجود والرحمى
بأسمائك الحسنىالتى بعض وصفها	لعــزتها يستــغرق النثــر والنظما
بعهد قديم من (ألست بربــكم)	بمــن كان مجهولا فعلمتــه الأسما
أذقنــا شراب الانس يا من اذا سقى	محبـا شرابا لا يضـــام ولا يظما

يريد الشـافعى بمخفى السر ذات الله وعلمه وقدره . والرحمى — بضم الراء وسكون الحاء أو ضمها — الرحمة .

ويريد أن الكلام كله ينفد دون القدرة على وصف بعض أسماء الله الحسنى لعزة هذه الأسماء عن الوصف والشرح والبيان . وهذا مأخوذ من قوله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى » .

وقد ألف فى الأسماء الحسنى علماء كثيرون وخصها الصوفية بالبحوث المستفيضة منها المقصد الأسنى فى أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى .

والعهد القديم الذى يشير اليه الشافعى هو الاقرار الذى أخذه الله على ذرية آدم وقد أشار القرآن الى هذا العهـد فى عدد من الآيات . وقد اختلف المفسرون فقال جمهور منهم ان العهد أخذ على الذرية فى ظهر آدم بربوبيته ووحدانيته حين قال « ألست بربكم قالوا بلى » ويرى الشريف

المرتضى فى أماليه أن العهد أخذ على الذرية أمام الأنبياء كل أمة بدعوة نبيها ولم يكن عهدا الا والذرية مكلفة ولا يكون التكليف الا وقد فارقت عالم الذر الى الحياة والعقل وهو رأى المعتزلة أيضـا . والآيات تسعف الشريف المرتضى بالدليل .

والذى كان مجهولا هو آدم وقد صار معروفا حين تعلم الأسماء هى ومسمياتها والظواهر وخوافيها والعلوم وحقائقها عند أهل السنة وأهل الرأى وهو ما امتاز به آدم فكان خليفة الأرض .

وشراب الأنس الذى يريده الشـافعى انما هو معـرفة الله ، وهو معنى صوفى . وفى قوله : يا من اذا سقى محبا شرابا .. اشـارة الى الاصطفاء والاجتباء أى اجتباء الله لمن يشاء من عباده وهو أعلى رتبة من الهداية بالأعمال . وللصوفية فيه مجال .

عفو الله

عن معجم الأدباء وايقاظ الهمم وآثار البـلاد وآداب الشافعى وصفة الصفوة والروض الفائق ، ونور الأبصار .

وقد جاءت المقطعة بروايات مختلفة فى كلماتها وترتيب أبياتها ، وقد أوردها الشبلنجى كاملة منقولة عن الروض الفائق . وقد أثبتنا أجود الروايات وأحسنها ترتيبا .

قال المزنى : دخلت على الشـافعى فى مرض موته فقلت لـه : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا آيسا ، ولاخوانى مفارقا ، ولكأس المنية شاربا ، ولسوء أعمالى ملاقيـا ، وعلى الله واردا . فوالله ما أدرى أروحى تصير الى الجنة فأهنيها أم الى النار فأعزيها ؟ ثم رمى بطرفه الى السـماء واستعبر وأنشد :

تعـاظمنى ذنبى فلمـا قرنتـه ... بعفـوك ربى كان عفـوك أعظمـا
ولما قسـا قلبى وضـاقت مذاهبى ... جعلت رجائى نحـو عفـوك سلما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجـود وتعفـو منـة وتـكرما
فلولاك لم يقـدر بابليس عـابد ... فكيف وقد أغـوى صـفيك آدما

فيا ليت شعرى هل أصير لجنة | أهنا واما للسعير فأندما
فلله در العارف الندب انه | تسح لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم اذا ما الليل جن ظلامه | على نفسه من شدة الخوف مأتما
فصيحا اذا ما كان فى ذكر ربه | وفيما سواه فى الورى كان معجما
ويذكر أياما مضت من شبابه | وما كان فيها بالجهالة أجرما
فصار قرين الهم طول نهاره | ويخدم مولاه اذا الليل أظلما
يقول : حبيبى أنت سؤلى وبغيتى | كفى بك للراجين سؤلا ومغنما
ألست الذى غذيتنى وكفلتنى | وما زلت منانا على ومنعما
عسى من له الاحسان يغفر زلتى | ويستر أوزارى وما قد تقدما

وهذا خوف الشافعى ووصفه لنفسه بأنه قد أجرم فما بال غيره من عامة الناس ؟!.

ويريد الشافعى بقسوة قلبه جرأته على المعاصى ، وفى رواية : ضاقت مسامعى ، فيكون المعنى أناه لم تسمع المواعظ . ويريد بضيق مذاهبه بعده عن سلوك طرق النجاة ! .

وفى البيت الثالث يشير الشافعى الى معنى صوفى ، وهو أن الله يبتدىء عبده المذنب بالعفو كمن لا يذنب دون حسابه وهو عفو المنة والتكرم الذى هو من باب الاجتباء .

ولم يقدر فى البيت الرابع مع بناء الفعل للمفعول أى لم يقس به . والمعنى انه لولا فضل الله على العباد لغلب ابليس الناس جميعا ، ومن قبل غلب آدم وكان صفيا من أصفياء الله ، فغيره وغير الأنبياء كان يهون عليه ويضعف أمامه لولا فضل الله .

ويلاحظ أن فى هذا البيت الخامس ألف سناد لم ترد فى كل القصيدة ومن العسير أن يرمى الشافعى بأنه ساند فى شعره مع علمه بالصناعة وتعليمها كما أشرنا فى المقدمة .. كما أن نسج البيت الخامس ضعيف .. ويبدو أن القصيدة دخلتها زيادات من غير شعر الشافعى ويشفع لهذا الرأى أنه قال هذا الشعر فى مرض موته وهو طويل لم تجر به العادة .

ومن البيت السابع لآخر المقطعة تبـدأ زيادة الشبلنجى صاحب نور الأبصار . والندب فى هذا البيت معناه الخفيف الذى يستجيب لنداء ربه . والمعجم ــ بكسر الجيم ــ فى البيت التاسع معناه الذى لا ينطق الا بذكر ربه ويصمت عما سوى ذلك وهو أهم أعمال الصوفية وحركاتهم اللسانية .

والهم فى النهار وخدمة الليل يريد بهما فى البيت الحادى عشر الاهتمام والخوف من الله والسهر والقيام فى عبادته ، والأول حين الاجتماع بالناس والثانى حين الانفراد عن الناس .

وفر نصحك

عن آداب الشافعى ومناقبه : قال الربيع بن سليمان واسماعيل بن يحيى المزنى : حدثوا الشافعى فى بعض ما يراد منه فأنشأ يقول :

ولقـــد بلوتك وابتليت خليقتى ولقـــد كفـاك معلمى تعليمى

ويعنى الشافعى بذلك أن لا تتعب نفسك فى ابداء رأيك فأنا على بينة منه ولن أعمل به .

الشىء فى موضعه

عن نور الأبصار ومعجم الأدباء وحياة الحيـوان والمناقب . وقد أورد الغزالى البيت الرابع فى مشـكاة الأنوار من غير أن ينسـبه لقائل ، قال الشافعى :

سأكتم علمى عن ذوى الجهل طاقتى ولا أنثر الـدر النفيس على الغنم
فان يسر الله الـكريم بفضـله وصادفت أهـلا للعـلوم وللحكم
بثثت مفيـدا واسـتفدت ودادهم والا فمخزون لـــدى ومكتتم
فمـن منح الجهـال علما أضـاعه ومن منـع المستوجبين فقـد ظلم

يلاحظ أن الشافعى فى هذه المقطعة يقسو على الجهال فيحرمهم العلم . وليس من محتاج الى العلم أكثر من الجاهل به . هذا هو ظاهر الكلام .. ولكن الشافعى يريد نوعا من الجهال وهم من لا يعملون بالعلم ولا ينتفعون

يحرم كتمان العلم وخزنه .

وفى رواية أخرى عن معجم الأدباء وغيره : حدث الربيع بن سليمان قال : لما دخل الشافعى مصر أول قدومه اليها جفاه الناس فلم يجلس اليه أحد . قال : فقال له بعض من قدم معه . لو قلت شيئا يجتمع اليك الناس ! فقال : اليك عنى ثم أنشد :

أأنثر درا بين ســـــــارحة النـــعم   وأنظم منثــورا لراعية الغــــــنم
لعمــــرى لقد ضيعت فى شر بلــدة   فلست مضــيعا فيهم غرر الكلم ..

الأبيـــات ...

والبث النشر والاذاعة حتى يعم .. والمســتوجبين المستحقين لتلقى العلم ، كأنهم يوجبون على المعلم أن يعلمهم .

قافيـــة النـــون

الطمع والقناعة

عن نور الأبصار والمخزون فى تسلية المحزون ، وحاشية الصـاوى على الجلالين .

قال الشافعى ــ رضى الله عنه ــ :

أمت مطـــامعى فأرحت نفسى ... فان النفس ما طمعت تهــــون

وأحييت القنــوع وكان ميتــا ... ففى احيــائه عرضى مصــون

اذا طمـع يحـــل بقلب عبـــد ... علتــه مهــانة وعــلاه هــون

وهذا المعنى كرره الشافعى فى شعره ، ويفهم من كلامه هنا أن نفسه مازالت تتقاتل فيها المطامع والمقانع حتى تغلب الأخيـرة على الأولى ، ومعنى ذلك أنه اكتساب ، وعلى كل انسان أن يفعله كما فعله الشافعى .

وقد جاءت هذه النصيحة منه للنــاس فى البيت الثالث ، وليس فيه تضارب اذ يقول : « يحل بقلب عبد » أى لا حلول اقامة واستدامة الا اذا لم يحارب الانسان الطمع بالقناعة فانه يحل ويقيم .

وفى الكلام كله اشارة الى المجاهدة الباطنية للنفس والهوى والشيطان بالامتناع عن الشهوات وهو ما سمى بالجهاد الأكبر ، ووجه ذلك أن الأعداء الظاهرة تحضر وتغيب ويمكن الصلح معها ، أما هذه فلا تغيب أصـلا ولا تمكن مصالحتها أبدا .

منن الرجال

عن أدب الدنيا والدين .

أنشد الربيع للشافعي قوله :

لا تحملن لمن يمن (م) واصبر فان الصبر جنه
واختر لنفسك حظها أشد من وقع الأسنه
منن الرجال على القلوب أشد من وقع الأسنه

يقول الشافعي ان من شروط المعروف مجانبة الامتنان به وترك الاعجاب له لما فيهما من اسقاط الشكر واحباط الأجر ، ويرى المن لهذا صعبا على النفوس ، ولذا فهو يعظ بأن لا تجعل لأحد عليك منا لأن كلام المان أشد من وقع السنان .

التواضع

عن آداب الشافعي ومناقبه ، وقد لا يكون البيت له وانما أنشده : قال أبو يعقوب البويطي : لم أزل أسمع الشافعي كثيرا يردد هذا البيت :

أهين لهم نفسي لأكرمهم بها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

أبو يعقوب البويطي من أصحاب الشافعي ، وقد حبسه الواثق في فتنة خلق القرآن وقد كثرت الروايات في شطر البيت الأول .

عباد الله

عن مجاني الأدب :

ومما ينسب الى الشافعي رضي الله عنه :

ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

يريد الشافعي بخوف الفتنة الابتعاد عن اتباع الأهواء والاغترار بالدنيا ، ويريد بالوطن الاستمرار والاقامة في الزمان والمكان ، وقدصور عباد

الله الأذكياء بخائضى لجة تصوروها غمرا لا يدرك له سر ولا قرار ، فطغوا عليه بصالح أعمالهم كى ينجوا من الغرق . وقد شبه صالح الأعمال بالسفن ، والوجه الانجاء من الهلاك فى كل ، وهو تشبيه رائع وقول ناصع .

العلم والهدى

عن حاشية الصاوى ،

قال الشافعى رضى الله عنه :

ادا لم يزد علم الفتى قلبه هدى	وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره أن الله أولاه نقمة	يساء بها مثل الذى عبد الوثنا

يرى الشافعى فى قوله هذا أنه لابد من أثر للعلم فى النفس والسلوك والأعمال فاذا لم يظهر على المتعلم من هذه الآثار شىء كان مصابا بنقمة الله مستحقا عقابه كمن جاءه الدين وأبصر هداه ولكنه ظل عاكفا على الأصنام يعبدها فلم ينتفع بدين ولا هدى .

والوثن فى البيت الثانى ــ بضم الواو وتسكين الثاء ــ جمع وثن . وقد جاء البيت مشوها فى حاشية الصاوى فأصلح هكذا اجتهادا .

بحر العلم

عن الجواهر الزكية .

قال الامام الشافعى رضى الله عنه :

لن يبلغ العلم جميعا أحد	لا ولو حاوله ألف سنه
انما العلم عميق بحره	فخذوا من كل شىء أحسنه

فى هذين البيتين وعظ بأن يتخير الانسان من العلم ما يكفيه وما يحسنه ، أما الجرى وراءه لتحصيله كله والنهم فى الاحاطة به فمن المحال لا ان عاش ألف سنة ولا مائة ألف .. وليس قول الشافعى « ألف سنة » تحديدا ؛ ولكن المراد طول المدة وتصوير الاستحالة ، فحيث لا يعيش أحد ألف سنة فهو محال .

شوق الى غزة

عن معجم البلدان .

يروى للشافعى يذكر غزة مولده قال :

وانى لمشتـــــاق الى أرض غــزة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وان خاننى بعــد التفرق كتمـانى
سقى الله أرضــا لو ظفــرت بتربها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ كحلت به من شــدة الشوق أجفانى

يريد الشافعى بخيانة كتمانه أن الكتمان يتعب ضميره فلا يجعله يظهر شوقه ولا يحثه على الرجوع .

ويتمنى فى البيت الثانى أن يكحل أجفانه بتراب غزة لو رجع اليها ، ويحتمــل أنه يتمنى أن يكحلها بذلك التراب لو نقل اليـه ، وترك المعنى للاحتمالين عجيب بديع .

مداخل العلم

عن حاشية الصاوى والمجموعة المباركة ومجانى الأدب .

نظم الشافعى ــ رضى الله عنه ــ شروط تناول العلم فيما يلى :

أخى لن تنــال العــلم الا بسـتة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ سأنبيك عنهـا مخبـرا ببيــان
ذكاء وحرص واصــطبار وبلغــة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وصــحبة أسـتاذ وطـول زمـان

بين الشافعى فى البيتين ستة شروط لتحصيل العلم وقد ذكرها كلها فى البيت الثانى ، أربعة فيها من طالب العلم واثنان منه ومن غيره ، فأما التى هى من الطالب فالذكاء والحرص والصبر والاستعداد بالمال والجهد ، وأما التى منه ومن غيره فصحبة الأستاذ وطول الزمان ، والناظر فى هذا الأمر يرى بعد نظر الشافعى فيما اشترط ، اذ لو فقد شرط واحد من هذه الشروط لم يحصل للطالب كمال العلم .

والخمسة ما عدا صحبة الأستاذ هى كل ما يمكن الطالب من جهد وقوة وزمن ، والعلم ــ كمـا يقولون ــ ان أعطيته كلك أعطـاك بعضـه ، وان أعطيته بعضك لم يعطك شيئا .

انذار بفراق

عن الأئمة الأربعة .

قال الشافعى فى صديق له تولى امرة « السيبين » فتغيرت عاداته عما كانت عليه فكتب اليه الشافعى يقول :

اذهب فودك من فـؤادى طالق ... أبدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة ... ويدوم ودك لى على ثنتين
وان امتنعت شفعتها بمثالها ... فتكون تطليقين فى حيضين
واذا الثلاث أتتك منى بتة ... لم تغن عنك ولاية السيبين

ويرى الأستاذ الشرباصى هذا الشعر متكلفا ولكنه لما كان متصلا بأمور الفقه وأحكام الطلاق فهو مصوغ صياغة ابداع مع مراتب تلك الأحكام : طلاق رجعى فطلاق بائن بينونة صغرى فبائن بينونة كبرى .

والشافعى يطلق ود صديقه ويصف هذا الود اذا تمادى فى القطيعة بأخلاق المرأة التى لا ترعوى . كما أنه يفاضل بين بقاء الود والولاية فيفضل الود ، ولا يرى فى الولاية فضلا عليه . وهذه المقطعة من فرائد الشافعى الشاعر الفقيه .

هذا بذاك

عن الكشكول للبهائى .

قال الشافعى رضى الله عنه :

تحكموا فاستطالوا فى تحكمهم ... عما قليل كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصفوا لكى بغوا فبغى ... عليهم الدهر بالأحزان والمحن
فأصبحوا ولسان الحال ينشدهم ... هذا بذاك ولا عتب على الزمن

وهذه حكاية الحكام الذين يكدرون بظلمهم الأزمنة والأمكنة . وقد كرر معناها الشافعى فى شعره . وفى البيت الثانى أنصفوا مرتين : الأولى مبنية للفاعل والثانية مبنية للمفعول . والمراد بالمحن البلايا والآلام .

ويريد الشافعى بلسان الحال انه لا ضرورة لان يقال فيهم شيء فقد كفاهم وكفى الناس علما بهم ما صاروا فيه من محن وأحزان .

وهذا مثل قوله السابق فى قافية الباء :

اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبـــا ولج عتـــوا فى قبيـــح اكتســابه
فكله الى صـــرف الليـــالى فانهـــا ستبدى له ما لم يكن فى حسابه ..

تعـــزية

عن معجم الأدباء وشرح المقامات للشريسى أنه رضى الله عنه قال فى تعزية :

انى أعــــزيك لا أنى على طمــــع من الخلود ، ولــكن ســـنة الدين
فما المعـــزى بباق بعـــد صـــاحبه ولا المعـــزى وان عاشا الى حـــين

وسنة الدين : أى سنة الدين المجاملة بالتعزية لتصبير المفجوعين حتى يجد أهل الميت أنسا بالمجاملة تنسيهم فجيعتهم حينا . ويقول بعض العلمـــاء أنها تعويض روحى يجد به المحزونون صبرا وتســـلية . أما الصوفية فلهم فى نعمة نســـيان الميت كلام .

والمعزى والمعزى فى البيت الثـــانى الأول اسم للفـــاعل والثانى اسم للمفعول ، وكل منهما مجهولان يتصورفى كل واحد منهما أن يسبق وأن يلحق فهما متساويان . وهذا من قدرة العربية وفصاحتها .

اختيار الصديق

عن نور الأبصار .

قال الشافعى رضى الله عنه :

زن من يزنـــك بمـــا اتزنت (م) وما يزنـــك بـــه فـــــزنه
من جا اليـــك فـــرح اليـــه (م) ومن جفـــــاك فصـــد عنــه
من ظـــن أنـــك دونـــــــه فاتـــرك هـــواه اذن وهنـــه
وارجـــع الى رب العبـــاد (م) فـــكل ما يأتيـــك منـــه

معنى البيت الأول أنه يجب عليك أن تقدر من يعترف لك بقدرك ، كما يجب عليك أن تقدره كما يقدرك وبنفس الوزن والتقدير . والصياغة فيها صناعة ومقدرة كما ترى . وقد قصر الفعل « جاء » فى البيت الثانى .

وفى البيت الثالث « هنه » بضم الهاء أى اجعله هينا ، ولا يظن ظان أن الشافعى لحن فلم يقل أهنه ، بل انه دار حيث الصحة والجودة .

وفى البيت الأخير تسليم صوفى فقهى معا اذ كل ما يصيب الانسان مقدور عليه فوجب الرجوع الى من قدر لا الى من فكر .

مشيئة الله

عن مختصر تذكرة القرطبى للامام الشعرانى قال الربيع : سئل الشافعى رضى الله عنه عن القدر فأنشأ وهو قول مشهور :

ما شئت كان — وان لم أشأ　　وما شئت — ان لم تشأ — لم يكن
خلقت العباد على ما علمت　　ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت　　وهذا أهنت وذا لم تهن
فمنهم شقى ومنهم سعيد　　ومنهم قبيح ومنهم حسن

فى هذا الكلام يخاطب الشافعى الله سبحانه فيرد الى مشيئته كل ما هو كائن ، أما مشيئة الانسان فلا فعل لها ان لم تسبقها مشيئة الله .

وخلق العباد بل كل الكائنات يجرى على مقتضى العلم ، فلا يظهر للوجود كائن الا على الصورة السابقة فى علم الله .

والحيلة والاكتساب هما معا من الله تعالى ، والشقاوة والسعادة مظهرهما كسب وهما قدر ، كالقبح والحسن المخلوقين جبلة وصفة لازمة — وكل منه سبحانه — وهذا فيه كلام طويل من أهل المذاهب والقدرية والصوفية وأسلم شىء فيه التسليم .

قافيـــة الهـــاء

الفقيه والسفيه

عن شرح المقامات للشربينى .

قال الشافعى رضى الله عنه :

ومنـــزله السفيه من الفقيـــه	كمنـــزلة الفقيـــه من السفيه
فهـــذا زاهـد فى قرب هـــذا	وهـــذا فيـــه أزهد منه فيـه
اذا غلب الشـــقاء على ســـفيه	تقطـــع فى مخـــالفة الفقيـــه

أول ما يبدو فى هذه الأبيات مقدرة الشافعى على اللعب بالضمائر مع وضـــوح ما ترجع اليه .

أما المعنى فهــو أن الفقيه يزهد فى السفيه تعـــاليا ، والسفيه يخالف فيعتدى ، وقد احترس الشـــافعى فمنع عن بعض السفهاء مخالفة الفقهـــاء ، وقيد المخالفين بغلبة الشقاء عليهم . وهو غاية فى التحرى .

قافية الياء

حديث الرافضية

عن نور الأبصار : حكى الامام أبو بكر البيهقى رحمه الله تعالى فى كتابه الذى صنفه فى مناقب الامام الشافعى أن الشافعى قيل له ان أناسا لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت ، فاذا رأوا أحدا يذكر شيئا من ذلك قالوا : تجاوزوا عن هذا فهو رافضى . فأنشأ الشافعى يقول :

اذا فى مجلس ذكروا عليا ... وسبطيه وفاطمة الزكيه
يقال تجاوزوا يا قوم هذا ... فهذا من حديث الرافضيه
برئت الى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حب الفاطميه

وهذه الأبيات تصور حالا لبعض الناس كانوا عليه أيام الشافعى ،وليس يريد فى آخر كلامه الدولة الفاطمية وانما يريد المنتسبين لفاطمة الزهراء بالحب رضى الله عنها .

استدراكات

الى هنا انتهى ما تيسر جمعه من شعر الامام الشافعي رضى الله عنه وكان لا بد أن تفوت بعض أشياء لأن جهد ابن آدم أقصر من ان يمتد الى الكمال والاحاطة .

وقد عن لى فى أثناء عرض شعره على اعداد مجلة منبر الاسلام الموقرة أبيات أخرى لم يكن من حظى أن أنشرها فى أثناء قوافيها ، ولهذا فانى آستدرك بها ما فات :

آل البيت

من التاء :

عن نور الأبصار قال الشافعي رضى الله عنه :

آل النبى ذريعتى   وهموا اليه وسيلتى
أرجو بهم أعطى غدا   بيدى اليمين صحيفتى

وهذا من شعر الشافعي فى حب آل البيت وقد أكثر منه ، وقد ذكر الامام البيهقى أن الشافعي قال ما قاله فى الضادية التى يقول فى آخرها « فليشهد الثقلان أنى رافضى » من نسبة الخوارج له الى الرافضة حسدا وبغيا .

ومن الدال :

عن نور الأبصار قال فى حب على كرم الله وجهه :

قالوا ترفضت قلت كلا   ما الرفض دينى ولا اعتقادى

لكن توليت غيــــر شـــــــك خيــــر امام وخيــــر هــــاد
ان كان حب الـــــولى رفضــــا فاننى أرفض العبـــــــــــاد

وهذا الكلام عمل بمــا نسب الى النبى صلى الله عليه وسلم من قوله بأن من تولى عليا كان مولى لرسول الله عليه الصلاة والسلام .

ومن الراء :

رد على المعرى

عن زهر الربيع قال أبو العلاء المعــرى فى حيرته :

يــد بخمس مئين عســـجد فديت ما بالها قطعت فى ربع دينـــــار

وهذه الحيرة التى يخفى فيها المعرى معرفته بسر هذه التفرقة فيها يردها الامام المرتضى ويجيب المعرى قائلا له :

عــز الأمانة أغلاهــــا . وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة البـــارى

ونسبت للامام الشافعى فتوى فى المســألة وحينئذ تكون المسألة قــد كانت قبل أبى العلاء ، وهو قوله :

هنـــاك مظلومة غالت بقيمتهـــا وها هنا ظلمت هانت على البــارى

والأولى دية اليد التى تقطع ظلما قصدا ففداؤها خمسمائة دينار ذهبا لأنهـا يد حر شريف ، والثانية يد السارق التى تقطع فى ربع دينـار سرقته بالشروط التى تتوفر لقطعها عند الفقهاء . أما أبو العلاء فقد جعلهما متساويين ظاما منه وتحييرا للنفوس ونسى فرق الشرف والخسة والأمانة والخيانة ظلما منه والحادا أثار الأئمة لهداية الأمة فردوا عليه بالفتوى لبحسموا البلوى .

ومن الفاء :

العقاب والذباب

عن نور الأبصار من شعر الشافعى قوله :

أكل العقـاب بقوة جيف الفــلا	وجنى الـذباب الشهد وهو ضعيف

يريد الشافعى فى هذا البيت أن الرزق ليس بالقوة وانما هو منحة الله بدليل أن العقاب على قوته لا يجد رزقه الا من الجيف المرمية فى البوادى ، أما الذباب ــ الذى هو النحل ــ فانه على ضعفه يجنى عسل الأزهار ويرتزق من رحيقها .

والشافعى لا يريد الا أن يضرب ذلك مثلا للناس حتى يرضى كل بما قسم له ويرجو الله . أما العقاب وأما النحل فلا بد لكل منهما ما هو له من الطعام .

من قافية القاف :

رواية أخرى

عن الكشكول للبهائى .

قال الشافعى :

لـو أن بالحيـل الفتى لوجدتنى	بنجـــوم أفلاك السـماء تعلقى
لكن من رزق الحجا حـرم الغنى	ضــدان مفتـرقان أى تفـرق
فـاذا سمعت بأن محـــروما	الابنات

والبيت الثانى من هذه الرواية أخـذ معناه من قول لجعفر بن محمـد الصادق اذ سأله سائل : لم يرزق الله الجهلاء أكثر ممـا يرزق العقلاء ؟ فقال جعفر : لئلا يغتر أهل العقل بعقولهم ــ كما سبق أن أشرنا اليه ــ غير أن الشافعى ذيل المعنى بما زاده من افتراق الضدين .

من قافية اللام :

آل البيت

وعن نور الأبصار قال :

يا آل بيت رســــول الله حبكم	فرض من الله فى القــرآن أنزله
يكفيكم من عظيــم الفخــر أنكم	من لم يصل عليكم لا صــلاة له

ويشير الشافعى فى هذين البيتين الى ذكر آل النبى فى التشهد .

أبو بكر وعلى

وعن نور الأبصار عن الفصول المهمة : لما صرح الامام الشافعى بمحبته لأهل البيت وأنه من شيعتهم قيل فيه ما قيل فقال رضى الله عنه مجيبا عن ذلك :

اذا نحن فضلنا عليــا فاننــا	روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضــل أبى بكر اذا ما ذكــرته	رميت بنصب عند ذكــرى للفضــل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهمـا	بحبهما حتى أوســد فى الــرمل

لقد سموا من يتولى عليا رافضيا ، وسموا من يتولى أبا بكر ناصبيا ، والشافعى حيران بين الناس من حبه للاثنين اذ هما لم يختلفا وانما اختلف الأشياع والأتباع . جعلنا الله ممن يتولى أصحاب النبى جميعا لقوله عليــه الصلاة والسلام : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتهم اهتديتم » .

والحمد لله رب العالمين .

مراجع الديوان

١ — آثار البلاد واخبار العباد ... للقزوينى

٢ — الأئمة الاربعة ... للشرباصى

٣ — آداب الشافعي ومناقبه ... لابن أبى حاتم الرازى

٤ — ايقاظ الهمم فى شرح الحكم ... لابن عجيبة الحسنى

٥ — تاريخ الامام الشافعى ... للرفاعى

٦ — تاريخ بغداد ... للخطيب

٧ — تعليم المتعلم ... للزرنوجى

٨ — تنبيه المغترين ... للشعرانى

٩ — تفسير ... ابن كثير

١٠ — الجواهر الزكية ... [illegible]

١١ — حاشية الصاوى على شرح الجلالين ... [illegible]

١٢ — حياة الحيوان ... للدميرى

١٣ — خزينة الأسرار ... للنازلى

١٤ — ديوان الشافعى ... لزهدى يكن

— الروض الفائق ... للحريفيش

— زهر الربيع ... .

— شرح مقامات الحريرى ... للشريشى

١٨ — صفة الصفوة ... لابن الجوزى

١٩ — العمدة ... لابن رشيق

٢٠ — الفهرست ... لابن النديم

٢١ — الكشكول ... للبهائى

٢٢ — مجانى الأدب ... للويس شيخو

٢٣ — المجموعة المباركة ... للقلنقولى

٢٤ — مختصرة تذكرة القرطبى ... للشعرانى

٢٥ — المخزون فى تسلية المحزون ... لمؤلف مجهول

٢٦ — المستطرف ... للأبشيهى

٢٧ — معجم الأدباء ... لياقوت

٢٨ — مقدمة كتاب الأم ... للشافعى

٢٩ — مكاشفة القلوب ... للغزالى

٣٠ — المناقب ... للرازى

٣١ — نصيحة الاخوان ... شرح لاميه ابن الوردى

٣٢ — نور الابصار ... للشبلنجى

٣٣ — وفيات الأعيان ... لابن خلكان

فهرس

تقديم ٣

قافية الهمزة ١١

قافية الباء ١٣

قافية التاء ١٩

قافية الجيم ٢٣

قافية الحاء ٢٥

قافية الراء ٣٣

قافية السين ٣٩

قافية الصاد ٤١

قافية الضاد ٤٣

قافية العين ٤٥

قافية الفاء ٤٧

قافية القاف ٤٩

قافية الكاف ٥١

قافية اللام ٥٣

قافية الميم ٥٧

قافية النون ٦٣

قافية الهاء ٧١

قافية الياء ٧٣

استدراكات ٧٥

مراجع الكتاب ٨١

مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)